صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق ـ ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

آذار ١٩٦٣

العدد العاشر

السنة الخامسة



كل تعبد مؤد الى الله الخلاق • وعلى هذا المذهب كان يقيني • وان في استغراقي امام لوح من الواح فني خالد ، أتأمل وأحس وأجيل الفكر في صنعه الأسمى ، لعبادة يسجد النظر عندها ويركع العقل ويسبح الشعور •

وبهذا القنوت دلفت في « فلورانسا » صيف ١٩٦١ الى دار التحف الكبرى وهناك في بهو مربع مرتفع السقف حالي الجدران بأروع الصور ذوات التلاوين ، أخذتني بغتة صورة • كم ذا تأملتها في كتبي ، وتمنيت أن أراها عيانا في دارتها ، فاذا بي أقف أمام ضالتي المنشودة • جاثمة على الجدار ، قبالة نظري ، وقد جعل رعاة الفن في تلك الدار مقعدا جلديا وثيرا ، ليجلس عليه مشاهدو هذه الصورة ، اذ كانوا يعلمون أن النظرة العابرة والخطوة الخاطفة لم تخلق من أجل هذه التحفة الخالدة • فجلست على المقعد الجلدي الداكن ، واسندت رأسي اليه وصوبت بصري نحو اللوح الكبير الذي التصق بالجدار ، وعلق هنالك عاليا ، بحيث لا تطوله يد السائر ، ولا قفزة الواقف •

يا لله ماذا أرى ، ؟ ألم يبق الا النطق لتخاطبني الصورة ؟!•

ان تورد الجسوم واستدارات الاكتاف واتساق الايدي والسوق ، ورهافة الخصور ، واسالة الخدود والقدود وانسراح الشعر ، موسيقى الهية ناغمة على الارض من صوت السماء •

لقد سبحت لصنع صنع الخلاق ، أفلم يصنع الصورة معجزة الفن الايطالي الروماني (رافائيل) حين صورها سنة ١٥٠٤ • ومن صنع رافائيل وابدع ريشته وصبغ تلاوينه غير الله الخلاق ؟!

ذلك كان لوح (النعميات الثلاث) ومن هن هؤلاء الرعابيب اللواتي وقفن في اللوح • اثنتان وجهاهما الي ، والثالثة الوسطي ظهرها نحوي ، ولقد بدون في حلية حواء قبل الهبوط الى الارض • انهن ثلاث مخلوقات أسطوريات ، نسلها رب الارباب عند الاغريق « زوس » من زوجته « أورينون » • واختلف النسابون الاسطوريون في اغريقيا ، بأصولهن ، فقيل : قد كن من ولد (آبوللون) من زوجته « ايغلي » •

أما أسماؤهن فهي : (أوفروزين وتاليا وأغليا) وأما عملهن فهو السعي بين يدي (آفروديت) سلطانة الحسن الذي لا يفنى •

هنالك كانت تدور في ذهني هذه المعارف ، لكنها لم تلبث أن ذابت أو تبخرت ، حتى لم أعد أذكر منها

شيئا ، ولم يعد يعنيني أن أعلم أن أعاظم المصورين والنحاتين منذ عهد الشاعر هوميروس وبراكزيتيل النحات الى أيام رودان وبيكاسو المصورين الخالدين وفاليرى الشاعر الذي ناجى الاساطير من وراء الدهور ، قد اشتغلوا جميعا وأضرابهم ومدارسهم وتلاميذهم في موضوع (النعميات الثلاث) وان دور التحف والبدائع في الغرب تغالي بهذه الصور لما فيها من فن ابداعي عميق ٠

لم يعد يعنيني من تلك الجلسة التي اختلستها من عمر الزمن أن أبحث في الفن وروعاته وخلود مبدعيه ومصوريه ، وانما انسكبت ـ في شعوري وعقلي ، وفي الوعي والحس اللذين سيطرا على نظري وذهني ـ في تأمل المرأة ، هذا المخلوق المشابه لنا ، الذي كفل بقاء العالم والذي أعطى الانسانية رياحينها الدائمة ٠

لقد خرجت الصورة من يد « رافائيل » وأضرابه الى تلك النظر والوعي والتأمل في الانسانة وحدها ٠

وكان في هذا سر التألق والتكوين المثالي الذي أودعه الله الخلاق في يد رافائيل اعجوبة التصوير العتيق ٠

وفي روما وانا انحدر الى (نبع الحظوظ) هنالك حيث يرمي الناس قطعا من نقودهم في الماء المنبجس بين التماثيل العارية التي تمثل الرجل والمرأة ٠ وقفت لأرى مليا تمثالا من البرونز الاسود للفون اله الغابات ، وكان معه نايه ، أمسك به بأصابعه ، ووضعه على فمه ، وأخذ ينفخ فيه ، فرد خاطري الى آخر مماثل له لكنه من الرخام الابيض ، جثم ليله ونهاره في باريس في حديقة « التويلري » لقد كنت أنسحب في الاصباح الى هذه الحديقة ، وكان بابها الكبير قريبا من الفندق الذي نزلت فيه بشارع « ريفولي » هنالك تحت خمائل الدوح الملتف ، وبين مدارج الورد ومطالع الزنبق الابيض والاحمر ، كنت اقتعد ، لاسمع ناي الفون وقد بدا على رأسه قرناه ووقفت ساقاه على ظلفي تيس ، وانسدلت من ذقنه لحيته المؤنفة ٠

لقد كان اذا غنى بنايه في عهد اساطير اليونان ، سجدت الاشجار طربا واهتزازا ٠

لكنه قبح الله وجهه ـ كما تروي الاساطير ـ كان شبقا وذا غلمة تخشاه الغيد الاماليد ، وكانت وهي تنفر منه ، تتمنى أن تقبل عليه ٠

وضقت يومئذ بهذا الفندق الذي يسمونه (بريغتون) وهو يعد بباريس من الفنادق الفخمة ، لان اثاثه ورياشه بطراز عهد نابليون بونابرت وهو نفسه قد بني منذ هاتيك العهود ٠

فكنت اجتوي البقاء فيه لاخرج نفسي من التاريخ، الى الواقع المعاصر ٠

وعلى باب حديقة التويلري شاهدت اعجوبة وعظتني ، حتى الان وما احسب كثيرا من الداخلين الى هذه الحديقة والخارجين منها قد وقف قليل منهم وقفتي ، ونظر نظرتي ، لانني بعيد ودامر عليها ، فلابد أن ألم بلحظي وحسي ٠ فتأملت هنالك قبل انحدار السلم الحجري بتمثالين عظيمين من النحاس في حجم الحيوان الذي تظهر انه ٠ فعلى المشهد الايمن اسد هصور منفوش اللبدة مرتفع الذيل قد غرز برائنه وانيابه في عنق غزال رهيف فهو يشرب من دمه والغزال رافع يديه ورجليه الى الفضاء وغائب في الموت المشفق ٠

ولو أن للطبيعة الجامدة صوتا وحكاية لطن في سمعي هامس أو راجس أو صائح يقول :

ـ تعال الى هنا الى المشهد الأيسر ، تر الجواب ٠ وكأني اسمعت هذا الحسيس فملت الى الجانب الايسر ، فاذا بي اشاهد ، ويا هول ما كنت اشاهد !

فيل وحيد القرن جسيم جبار قد غرز قرنه في صدر أسد بذلك الحجم الذي على اليمين ، والاسد رافع يديه ورجليه الى العلاء ، وقد غاب في موت زري مشين ٠

وطن في خلدي صدى بيت لست ادري متى

حفظته لكنه كان يروى لي في قصة من قصص طفولي اذ كانت امي يرحمها الله قصت علي ، وانا طفل في اول الوعي ، هذه القصة الصغيرة العابرة :

وقف ملك مع وزيره على سلسبيل يستقيان ، فأمسك الملك بالطاس وشرب به حتى ارتوى ثم القاه على المرمر بمكانه فطن ورن وكان من النحاس • فقال الملك للوزير :

ـ ما يقول الطاس ؟

ـ •••••• !! ••

ـ تالله ان لم تحضر لي الجواب ، قطعت رأسك !• فاستمهل الوزير مليكه اربعين يوما ليأتيه بالجواب• وحير الجواب أذهان المفكرين ، حتى سألته ابنته الذكية اللوذعية ذات مساء ، وقد رأته مطرقا مهموما حزينا •

ـ ما بالك يا أبتي ؟

ـ لا شيء •••

ـ عزمت عليك بحبي •

ـ يا بنيتي ، سألني الملك وقد رن الطاس بين يديه • « ما كلامه الذي يقوله ، وهو يطن ويرن ؟ »

وعزم علي وهددني بالقتل ان لم احضر له الجواب • وهذان يومان بقيا من الاربعين يوما في مدة امهاله •• !

فتبسمت تلك الفتاة الذكية الحسناء وقالت لابيها الوزير :

ـ اذا غدوت غدا عليه فقل له ان الطاس يقول :

صبرت على نار وجمر وطارق

لأحظى على حب برشف ومبسم

وما من يد الا يد الله فوقها

ولا ظالم الا سيبلى بأظلم

وقد سر الملك وسري عن الوزير ، وكان هذا الجواب سبيلا الى أن تكون تلك الفتاة الذكية زوجة للملك •

فأرسلت الى امي وراء الغيوب رحمات صيبات من وقفتي هنالك بباريس ، بين التمثالين الواعظين •

ولم أتم تعبدي الفني في ذلك النهار الضاحي المونق فعزمت على أن أعود في هذا الشارع الطويل المديد أدراج السير فيه حتى أصل الى معبد الفن الاكبر الذي يقوم بناؤه الاعظم في أواخره • وكان هذا الشارع الكبير : ريفولي مثل ملك من ملوك الاساطير الذين امارس ذكرهم اليوم • قد وضع على رأسه مثل اكليل سحار ميدان « الكونكورد » تتدفق نوافيره ومطافره ، وتتألق في الليل نجومه الارضية لتبارى وتتحدى نجوم السماء ، وقد انسرح من صدره شارع معبد المادولين ، اما مواطىء اقدامه من اول منبعه فقد رصفت حجاره ووطدت حواشيه لتكون سبيلا الى « متحف اللوفر » •

وماذا دهاك حتى تتكلم على متحف اللوفر انه جنة الفن الانساني وعبقر الالهام البشري •

هنالك أخذت أسأل الادلة حتى بلغت البغية توصلا الى المحراب الذي وقفت امام مثيله بفلورانسا •

لقد جثمت مسمرا مكاني ومأخوذا كمسحور او مجذوب امام بدعة (النعميات الثلاث) التي كونها بفنه الخالد « فالكوينه » المثال الكنسي الذي عاش في القرن الثامن عشر وتحت صورة المسيح وهو يجود بروحه • ومن يدري لعل « فالكونيه » أحب ان يتعبد ربه في آثاره ذاتها بعد أن تعبده في رسوله •

كذلك سرحت أفكاري بهذه الذكرى العبادية الفنية وقد حويت « النعميات الثلاث » في الصورة ، وفي التمثال •••

الدكتور زكي المحاسني

دمشق

في ٣١ ـ كانون الثاني ـ ١٩٦٣



« اعتدال نحاس » اسم كان يتردد على ألسنة كثيرة ، باستهجان من الاكثرين ، وباعجاب من فئة قليلة متهيبة مترددة .

اذا ذكرت الملاهي ووسائل التحرر والانطلاق ، كان اسمها في رأس القائمة . كانت تلبس البنطلون وربطة العنق كالرجال ، وترتدي كذلك ما يعجبها من ملابس النساء المكشوفة ، وتتردد على الملاهي الى منتصف الليل وما بعده احيانا ، وتجلس في المقهى او المطعم ، وتختلط بالشبان في الاماكن العامة ، وتقيم في منزل والديها حفلات راقصة تدعو اليها اصدقاءها ، وتدخن السجائر امام والديها واقربائها والآخرين دون تهيب ، وتقود سيارتها بنفسها تذهب بها حيث تشاء .

حرية واسعة كانت تتمتع بها ، ولا تدير بالا الى الهمسات الكثيرة ونظرات الاستهجان من حولها ، والى المصارحات التي تسمعها احيانا .

« اعتدال عايشة في اوروبا ! وصلت من التحرر الى آخر حدوده بدون اعتدال ... بعكس اسمها تماما ! غندره ، وشبان ، وسهر ، وسجائر ، ورقص ، وحفلات عامة ، ومشكحه بالسيارة ! وصالون التجميل صار بيت ثاني الها ، وشعرها كل يوم لون ، وكل يوم كويه جديدة ! يا عيب الشوم ! لا حيا ولا خجل ! مش عارفه بأي دنيا موجوده ؟ وكلام الناس كله ما لوش قيمة عندها ؟ »

هذا الكلام وكثير غيره كان يقال عنها ، وكانت تعرف أنه يقال عنها ، ولكنها ترمي به من وراء ظهرها .

لقد انهت دراستها الثانوية في الثامنة عشرة من عمرها ، ثم قضت اربع سنوات في بريطانيا حتى نالت شهادة البكالوريوس في الآداب . ولما عادت الى بلدها



لم تكن تحمل الشهادة الجامعية فحسب ، بل كانت تحمل معها آراء تحررية واسعة ؛ فما ترضيها عادات الشرق وتقاليده ومفاهيمه الخلقية والاجتماعية . السلوك الشخصي لا شأن له بالاخلاق ما دام بعيدا عن الاساءة الى الآخرين . ذلك ما عادت تؤمن به بعد ان عاشت في الغرب ، وخبرت عادات اهله ومفاهيمهم .

الفتاة هناك بعد سن الثامنة عشرة حرة في تصرفاتها وسلوكها الشخصي . وقد تجاوزت اعتدال هذه السن ، فمن حقها ان تشعر بأنها انسان كامل الحرية وهي مستعدة لان تناقش اي انسان في أن لا شأن للعادات والتقاليد في خنق الحرية ، وفي قتل الأنسانية في الانسان . وما هو الانسان دون حرية ودون كرامة ؟ الحرية والكرامة فوق كل اعتبار : فوق التقاليد ، وفوق العادات ، وفوق المفاهيم . كل مفهوم يناقض الحرية هو انحراف عن الصواب ، وعن المنطق ، ومجانة للحق .

هنا في الشرق يعتبرون كل فتاة تمارس انسانيتها

بحرية مومسا ؟ وهذا اتهام خطير ، لا اثر للمسؤولية ولا للضمير فيه ، ولا يجرؤ غربي على اتهام امرأة بمثله ، حتى المومسات انفسهن ؟ فقد تكون حتى المومس شريفة في كثير من الاحيان : قد يتدنس جسدها تحت قسوة الظروف والحاح الحاجة ، ولكن تظل نفسها طاهرة رغم كل شيء . فالاتهامات في الشرق ليست سوى مظهر من مظاهر تحكم الرجل ، وعبودية المرأة خلال اجيال طويلة متعاقبة كان يملأها الجهل المطبق .

لقد زال الحجاب حقا عن وجوه النساء في أغلب البلاد الشرقية ، ولكنه ما يزال صفيقا رهيبا خانقا على ارواحهن ، وعلى سلوكهن ، لان الرجل الشرقي غيور ، متسلط ، عنيد ، ومن غيرته وعناده وتسلطه يستمد كل مفاهيمه الخلقية والاجتماعية ، وان كان يعرف انها تنافي الحق والمنطق .

واعتدال تأبى أن تخضع روحها للحجاب ولسيطرة الرجل . تريد ان تكون مساوية للرجل في السلوك والحرية والحقوق الانسانية ، فاذا كان يعتبر حريته فضيلة وحقا له ، فحريتها هي ايضا فضيلة وحق لها مثله ؟ فهي أخته ، وهي شريكته في كل أمر من اموره الظاهرة والمستترة ، وللشريك مثل حق شريكه . هذا ما يقضي به ناموس الحياة ، وسلطان الطبيعة ، وقانون المعاملة الانسانية . وهي ماضية في ذلك ، فاما ان تنتصر وتنتزع النصر والحرية لبنات جنسها كلهن ، واما ان تتحطم على صخرة تحررها العنيدة الصلبة ، فتكون ضحية عقيدة اعتنقتها عن فهم ، وحملتها بارادة وتصميم .

انها لم تتخرج من الجامعة لتدفن علمها وثقافتها في عبودية التقاليد ، وتخضع لاحكام الجهلة من الرجال الذين يملي الجهل أحكامهم ، أو تخشى طول ألسنتهم .

وتضحك اعتدال في سرها ، لانها تعلم ان الاخلاقيين الذين يتهمون المرأة ، ويحملون على تحرر الفتاة ، وينهون عما يدعونه تهتكا وفجورا وخلاعة ، هم اكثر الناس اشتهاء للتهتك وامتلاك النساء ؟ فلو أبيحت لهم كل نساء الارض ، وأتيح لهم أن يغرقوا في الفجور حتى ما يفيقوا من سكرته ، لما دار بخلد أحد منهم أن يدعو الى خلق أو فضيلة ! وعند هذا تضرب اعتدال الارض بقدمها بعناد وتصميم : « ليقولوا ما يشاؤون ! أنا أنقى منهم ضميرا ، وأوعى منهم فهما لمعنى الحرية وكرامة الانسان ! »

ولكن اعتدال لم تكن تحارب في جبهة واحدة ؛ كانت النساء أشد ضراوة من الرجال في حملاتهن على سلوكها . ولم تكن هي تستغرب ذلك ، فعهود العبودية الطويلة التي عانتها المرأة رسخت في ذهنها أنها مجرد ظل للرجل ، وعبد لسلطته ، وأن لا شخصية لها ولا قيمة في ذاتها كانسان كامل الانسانية ، ولذلك تبدو لهن اعتدال مخلوقا غريبا شاذا : امرأة مسترجلة ، لا يطيب لها مكانها بين النساء ، والرجال لا مكان لها بينهم ، فهي لا أمرأة ولا رجل .

وتتألم اعتدال كثيرا لذلك ، اكثر من تألمها لاتهامات الرجال وحملاتهم ، ولكنها مع ذلك تصمت وتمضي راضية ، لانها تعلم أن المرأة التي اعتادت ـ تحت سلطان الزجر والعصا ـ أن تسير وراء الظل ، وأن تقبع في الظلام ، لا تملك في أمرها شيئا ، وليس في وسعها أن تغير عقليتها التي ألفتها من قرون طويلة . وكان هذا يزيد من اصرار اعتدال على المضي في التجربة ، وعلى احتمال التضحية . انها لا تريد أن تتكرر فيها حياة أمها وجدتها . حياة الظلام والخضوع ليست لفتاة جامعية مثلها عرفت الحرية عن طريق الثقافة ، وعرفتها عن طريق التجربة الحية في بريطانيا ، فأحبتها في الحالتين حتى رضيت بكل تضحية في سبيل الفوز بها لنفسها ولبنات جنسها .

وكان هناك عدو رهيب آخر ، كانت اعتدال تظن أنها ستنتصر عليه كذلك . ان الشبان لا يقدمون على الاقتران بفتاة متحررة مثلها ، على الرغم من ثقافتها العالية ، وجمالها ، وجاذبيتها . ان حبهم لها ليس اكثر من حب امتلاك آني : نداء الجسد وحده هو الدافع ، أما الروح فلا شأن لها . فالزواج بفتاة مثلها ، عرفتها

الاندية والملاهي وحفلات الرقص ، عار لا يطيق احتماله شاب في مجتمع شرقي .

وكانت اعتدال تعرف ذلك منذ البداية ، وتنظر بازدراء الى مثل هذه العقلية ، والى من يحاول أن يذكرها بها ، فتجيب بأنها لا تهتم بالزواج ان لم يكن شركة تحررية يؤمن بها الشريكان . واستطاعت هذه الفلسفة أن تعيش سنوات وتتحدى المجتمع والواقع بعناد ، فما تتخلى عنها اعتدال ، ولا ترضى عنها بديلا . وظلت كذلك ، حتى كان ذات يوم ، ورأت الشعرات البيضاء تبرز لها في المرآة ، وتيقنت من أنها اذا استطاعت أن تخفيها عن عيون الآخرين بالاصباغ ، فلن تستطيع أن تخفيها عن نفسها .

خمسة وثلاثون عاما ! صحيح أن الجمال لا تزال له بقايا ، ولكنه غير الجمال الشاب الذي كان . صالون التجميل هو الذي يبقيه الآن وليست يد الشباب الغضة !

ما أقبح أن تقف حقائق الحياة كالصخور الصماء أمام الفلسفات ، وأمام رغبات الانطلاق !

كل الفلسفة التحررية ، وكل الاصرار العنيد ، وكل الانطلاقة المندفعة ، ومعها جميعا شهادة البكالوريوس الجامعية ، وتجارب الحياة في بريطانيا ، أصبحت اعتدال مستعدة لان تتخلى عنها الآن راضية مختارة : أن تدفنها الآن في ظل رجل ! وتحت قدميه ... فهناك مفازة رهيبة موهشة تقترب منها ، وهي تخشى أن تقطعها وحيدة في صقيع العمر ... الوحدة ، والوحشة ، والصقيع ، والليل ، كلها تنتظرها فاغرة أشداقها في تلك المفازة الرهيبة ، ولن يبدد رهبتها وهولها غير الرجل !.. ظل الرجل لا يبدد رهبتها فحسب ، بل يحيل المفازة نفسها الى واحة ظليلة دافئة .

ولم يعد الشبان يطمعون في زواجها ، وهي تعرف ذلك ، ولم تعد تحلم بأن يتقدم لها شاب يتجدد بشبابه عمرها وأحاسيسها ؛ ولكنها مستعدة لان تقبل أول رجل يمد يده لها ، وأن تبيعه كل حريتها راضية مغتبطة . وكان أول رجل مد يده اليها بقال الحي الكهل « أبو احسان » الذي توفيت زوجته منذ اربعة أشهر ، وهو في الخامسة والخمسين من عمره .

ما أسعدها بأن تحل في بيته ، وتحتضن ابناءه الاربعة ، وتصبح أما لهم بدل أمهم ، فلا يعود يساورها الخوف من أن تواجه المفازة التي أمامها وحيدة دون رجل !

عمان ـ الاردن

سيرة الكندي ودوره في الفكر الاسلامي

بقلم الدكتور : كامل الشيبي

قال الكندي : وينبغي الا نستحي من الحق واقتناء الحق من اين اتى ... فانه لا شيء اول بطالب الحق من الحق ... بل كل يشرفه الحق .

هذه الروح الحرة المتفتحة للعلم بكل اشكاله كانت طابع المجتمع العباسي في بداية القرن الثالث حين اعلن المأمون الاعتزال مذهبا رسميا للدولة سنة ٢١٢ . وكان المعتزلة من قبل يعانون السجن والتشريد على يد الرشيد ،فاطلقهم المأمون ليمكن التاريخ من تسجيل تجربة فريدة تمناها افلاطون في جمهوريته وارادها ارسطو في سياسته تلك هي ان يوكل الى الفلاسفة حكم المجتمع وتوجيهه . ولم تدم هذه الروح الا احدى وعشرين سنة ثم انطفأت جذوتها على يد المتوكل الذي حرم « النظر والمباحثة والجدل وامر بالتسليم والتقليد » وانقلب العقل خاسئا وهو حسير وعاد المجتمع الاسلامي سيرته الاولى من الخلف والتجارة في الدين كما ذكر ذلك الكندي نفسه .

لقد خلف لنا الكندي تراثا يعتز به حقا ، وأي تراث اعز من البحث المتخصص العميق الموجه الى الحق وحده : البحث في كل اقسام المعرفة في عصره ابتداء من الفلسفة الاولى الى البحث في صناعة الساعات ومن السياسة الى صنع الاطعمة من غير عناصرها ومن معرفة ابعاد قلل الجبال الى البحث في الابخرة المصلحة للجو من الاوباء . وعاش الكندي وعاش ولم يمت فقد كان يقول :

« الا تعلم ان مقامك في هذا العالم انما هو كلمة ثم تصير الى العالم الحقيقي فتبقى ابد الآبدين ؟ »

ولد الكندي في الكوفة حوالي سنة ١٨٥ من أب استعاد مجد اسرته العريقة بعد خمول دام قرنا من الزمان وبدأ بفشل ثورة عبد الرحمن بن الاشعث على عبد الملك بن مروان سنة ٨٤ ، ومات ابو الكندي في أخريات ايام الرشيد الذي توفي سنة ١٩٣ فنشأ يعقوب بن اسحق يتيما وجعل يتطلع الى مجد أهل العلم في أيام المأمون ، ورآهم يرفضون الوزارات ، ويأمرون وينهون ويجادلون ، ولكل منهم من الحرمة والهيبة ما للخلفاء انفسهم . وتلقى الكندي دروسه الاولى في الكوفة التي كانت مركزا للفلسفة اليونانية ، اشار اليه النظام الذي قصدها لهذا الغرض من قبل . ونزل الكندي البصرة حيث ضياع ابيه فأخذ من معتزلتها العقليين اصول التحرر العقلي ومسؤولية الانسان الكاملة عن اعماله خيرها وشرها واستقلاله المطلق عن القدر وقدرته الكاملة عن اعماله خيرها وشرها واستقلاله المطلق عن القدر وقدرته الكاملة على التوصل الى الحسن والقبيح وحتى الى الله دون حاجة الى من يبلغه ذلك : الانبياء فمن دونهم .

وذهب الكندي بعد ذلك الى بغداد فقرأ ما امر المأمون بترجمته من كتب الفلسفة وما سبق المأمون منها وشارك في هذه الحملة اصلاحا ومراجعة دون الترجمة الفعلية. واستطاع الكندي بما كان لابيه من صلة بالدولة - اذ تولى لها امارة الكوفة اكثر من ربع قرن من الزمان - ان يدخل بلاط المأمون من اوسع ابوابه لا بالامارة والعراقة وحدهما بل بالعلم والفضل ، فكتب للمأمون (ح ١٩٨ - ٢١٨) رسالة « في العلة والمعلول » وكتب للمعتصم في خلافته (ح ٢١٨ - ٢٧٧) رسالة في الفلسفة الاولى ثم صار مؤدبا لاحمد بن المعتصم وكتب له عدة من الرسائل ، وكتب ليحيى بن ماسوية الطبيب (ت ٢٤٣) رسالة في علم الكتف وكتب لعلي بن الجهم (ق ٢٤٩) رسالة في وحدانية الله وتناهي العالم وكتب لطلابه واصدقائه ومريديه عددا من الرسائل جاوز المائتين والاربعين استغرقت كل ما طرقه وما لم يطرقه المثقفون في النصف الاول من القرن الثاني ايام كانت

الثقافة تطلعا الى الجديد واستزادة منه ليس لها حد .

لقد كان جيل الكندي هيابا من اصطناع الفلسفة المترجمة اساسا للبحث ومنطلقا له وكان المعتزلة ابتداء من ابي الهذيل العلاف (ت ٢٣٥) وتلميذيه العظيمين النظام (ت ٢٣١) والجاحظ (ت ٢٥٥) ثم معتزلة بغداد كبشر ابن المعتمر (ت ٢١٠) وثمامة بن الاشرس (ت ٢١٣) وابى موسى المردار (ت ٢٢٦) وغيرهم يرطبون جفاف الكلام بقطرات من الفلسفة لم تخف على خصومهم من أهل السنة ، وكذلك كان يفعل اوائل الصوفية كذي النون المصري (ت ٢٤٥) الذي تأثر بالافلاطونية الحديثة وكان يقول « من ادرك طريق الآخرة فليكثر مساءلة الحكماء ومشاورتهم وليكن اول شيء يسأل عنه العقل ، لان جميع الاشياء لا تدرك الا بالعقل » ، وكزميليه البغداديين السري السقطي (ت ٢٥٢) ويحيى بن معاذ الرازي اللذين كانا يحاضران في علوم التوحيد والحقائق الالهية والتصوف .

ولم يقتصر طل الفلسفة على ميداني الكلام والتصوف وانما تعداهما حتى الى الشعر ، فقد وصف ابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٤) بانه كان يتعاطى الفلسفة ، وابو تمام (ت ٢٣٢) بان شعره كان يعجب اصحاب الفلسفة والمعاني ولا يخلو من اصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين .

جاء الكندي فوجد الظروف مهيأة لحسر النقاب عن وجه الفلسفة التي كانت تسير في ركاب المتكلمين والصوفية والفقاء والشعراء والنقاد والنحويين ، فمد يده وهتك الستر وحسر النقاب وقال للناس : هذه هي الفلسفة التي يصدق فيها قال ابن المقفع :

يا بيت عاتكة الذي اتعزل
خوف العدا وبه الفؤاد موكل
اني لامحنك الصدود وانني
قسما اليك مع الصدود لاميل

وجهد الكندي في تعريف الناس بالفلسفة ، وعانى كثيرا في سبيل اقناعهم الا تعارض بينها وبين الدين ، وأوضح لهم ان الحق واحد سواء اجاء من اسفل أم نزل من اعلى وقال لهم : ان جواب القرآن على السؤال : « من يحيي العظام وهي رميم ؟ » قل : « يحييها الذي انشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم » انما هو فلسفة ، وانهى اليهم ان الآية التي تقول : « الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون » انما هي حجة فلسفية على وجود الله ، قال بها النظام من قبل . ومؤداها ان اثبات وجود الله يتأتى من قدرته على جمع الضدين وقهرهما في مكان واحد . وكتب الكندي في سبيل التوفيق بين الدين والفلسفة رسائله في تناهي جرم العالم وتثبيت الانبياء والتوحيد من جهة العدد وغيرها ، وبين ان الفرق بين الفلاسفة الذين ينشدون الحق الخالص والانبياء الذين يوحى اليهم ، ان الاولين يجهدون كثيرا في التوصل الى ما يبحثون عنه بينما يتلقى الآخرون الحقائق جاهزة من « العقل الاول الذي هو بالفعل دائما » وذلك « بتطهير انفسهم وانارتها للحق » وبعد ان نجح الكندي في ذلك جعل كتب ارسطو كلها منهجا مقررا لكل من ينشد دراسة الفلسفة وذكرها لهم واحدا واحدا مع التعريف والتلخيص في رسالة سماها كمية كتب ارسطو . وبين للناس اخيرا ان الفلسفة التي كانوا يخشونها ويتهمون من تعلمها بالكفر لم تكن الا « علم الاشياء بحقائقها بقدر طاقة الانسان » وذكرهم بانها تتعلق بالحقائق الكلية لانها « لا تطلب الاشياء الجزئية .. وانما تطلب الاشياء الكلية المتناهية » وهداهم الى ان البحث الفلسفي يتنزل من البحث النظري الخالص في ذات الله الذي يدعي « الفلسفة الاولى » الى البحث في الامور المادية ويقع بين التجريد والتجسيد عالم لا حصر له من الابحاث النظرية والعملية .

واخيرا وبعد ان وقف الناس على هذه الحقائق اشار الى الفقهاء واصحاب التخدير صارخا فيهم : « أنتم عدماء الدين ، لأن من تجر بشيء باعه ومن باع شيئا لم يكن له . فمن تجر بالدين لم يكن له دين . ويحق ان يتعرى من الدين من عاند قنية علم الاشياء بحقائقها (التي هي الفلسفة) وسماها كفرا » .

اما بعد فينبغي ان نكون توصلنا الآن الى ان الكندي كان من الدعاة الى مزج الدين بالفلسفة وبكلمة أخرى أنه كان متكلما فلسفيا يدافع عن الدين بالحجج الفلسفية . والرأي عندنا ان هذا هو المدى الذي يعتبر

معه الكندي فيلسوفا : كانت رسالته اقامة علاقة ايجابية بين الدين والفلسفة فكان عمله كورا لما أداه فيلون اليهودي الاسكندري (ت ٥٠ م) والقديس جوستين (ت ١٦٧ م) وكليمان الاسكندري (ت ٢١٧) وغيرهم من الموفقين بين الفلسفة اليونانية والدين . اما بعد ذلك فالكندي استاذ فلسفة او باحث متفلسف ينقل لنا بالفاظه واسلوبه ثقافة اليونان ويقدم الينا الجديد الطارىء في عصره في قالب من المنطق ومناهج البحث .

وكان الكندي الى ذلك رائدا في البحث الفلسفي ولم تفته حاجة هذا الميدان الى المصطلحات فوضع مائة منها على صورة تطورت فيما بعد وقد بقي مما اقترحه كلمة « الطينة » بدل الهيولي اليونانية بمعنى المادة ، وعرف الضمير هو ، واشتق منه التهوية واستعمل الايس والليس ومؤيس الايسات لمعنى الوجود والعدم .

لقد كتب الكندي يوصي بالبدء في تعلم الرياضيات شرطا للدخول في عالم الفلسفة وكان كثير من ابحاثه يعتمد كثيرا على الطريقة الرياضية وكان بعض من رسائله كالفلسفة الاولى وعلة تناهى جرم العالم طافحا بالاستنتاج الرياضي .

وكان رأي الكندي في العالم رأي اليونان من انه كل متماسك عاقل كانه حيوان كبير حي ، وان الانسان نموذج مصغر له وكانه فهرست لهذا العالم ، وان الحياة على كوكبنا الارضي انما كانت بفعل تحرك الافلاك المحطية بنا ، فكما وهبتنا الحياة تستطيع التأثير فينا اسعادا واشقاء كفعل القمر في المد والجزر ، وصدورا من هذا الرأي كتب الكندي في الفلك واخترع آلات تقيس المسافة بين القمر والارض وبين الاجرام ، وكتب في الاستدلال بالكسوفات على الحوادث وحدد سقوط الدولة العباسية بعد ٦٩٣ سنة من بدء دولة الاسلام بناء على الاستقراء الفلكي المقرون بالتأويل الباطن لفواتح السور ، وكان من اثر هذه النبوءة ان ذكرها ابن خلدون مكبرا ومعجبا

وبحث الكندي الموسيقى بوصفها اساسا من اسس الوجود باعتبار الكون نغما وعددا وباعتبار الموسيقى صوت حركة الافلاك وربط بين كل آلة من آلات الموسيقى المعروفة في عصره وبين ظاهرة فلسفية وخرج من هذا الى البحث الموضوعي في الموسيقى عند العرب وغيرهم ، وتعدى ذلك الى التأليف الموسيقي وبلغ من براعته في ذلك ان باحثا عراقيا هو زكريا يوسف استطاع تسجيل تمرين للضرب على العود عرضه على دارسي الموسيقى ليعزفوه فيسمعوه . وصدورا عن الروح الفلسفية الكامنة في الموسيقى عالج الكندي مريضا كاد يموت وابقاه في قيد الحياة فترة بعزف لحن موسيقي معين انتهت بانتهائه حياة المريض بعد ان اوصى ما كان يراد له ان يوصي . ولم يفت الكندي البحث في الميادين الروحية الخالصة فعكس لنا في رسالته في دفع الاحزان روحا فلسفية زاهدة تتوق الى المثل الاعلى وتعتبر الحياة قنطرة الى الموت الذي به يبدأ خلود النفس على مذهب سقراط . وكان لسقراط المكان الاول في هذه الرسالة وفي خمس رسائل أخرى عرضت لخمسة وجوه من نشاط سقراط الفلسفي .

وعرض الكندي للماديات يبحثها بحث العالم المجرب فكتب رسالة في السيوف استعرض فيها خصائص هذا السلاح في سائر الاقطار وتطرق الى اطوالها واشكالها وحدها وحديدها ووقف السائل على طريقة صناعة كل منها وكلفتها وطريقة تحويل الحديد من النرماهن اي المطاوع الى الصلب . وتطرق في كيمياء العطر - التي يشك في نسبتها اليه على هذه الصورة المنشورة ، ومن المؤكد ان له رسالة على هذا النسق - الى انواع العطور وصناعتها وطريقة الحصول على مركبات كيمياوية صناعية تماثل الطبيعية منها فيمزج من المصنوع جزآن ومن الاصل جزء ، وكتب رسالة في صنع الاطعمة من غير عناصرها نبه عليها المحتسبون واوصوا من وجدها باحراقها لئلا يضيع على اصحاب الضرائب الحساب . وكان الكندي الى هذا كافرا بالكيمياء الاسطورية التي تهدف الى تحويل المعادن الخسيسة الى شريفة اصلها وروحي ينعث من السلوك الفلسفي الذي صار في الاسلام صوفيا يتحول معه الانسان من مخلوق عاص ثقيل الى ولي خفيف يسابق الانبياء في العروج الى اطباق السماء . وكتب الكندي رسالة في الاحجار كانت نبراسا للآتين من بعده بحيث صرح البيروني العظيم (ت ٤٤٠) باعتماده الكامل عليها في كتابه الجماهر وكانت شهادته

للكندي قوله مشيرا الى البحث في الاحجار « قد افترع فيه عذرته وظهر في ذروته كأختراعه البدائع في كل ما وصلت اليه يده في سائر الفنون فهو امام المحدثين وأسوة الباقين » ولم تنته مواهب الكندي عند هذا الحد وانما تعدتها الى الشعر والنقد والفكاهة

فنقل عنه انه قال هذه القصيدة في شكوى الزمان :

أناف الذنابى على الارؤس
فغمض جفونك او نكس
وضائل سوادك واقبض يديك
وفي قعر بيتك فاستجلس
وعند مليكك قابع العلو
وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجال
وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من اخى عسرة
غنى وذى ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت
على انه بعد لم يرمس
فان تطعم النفس ما تشتهي
تقيك جميع الذي تحتسي

ومن تعودي ان سمع رجلا يقول :

وفي اربع مني حلت منك اربع
فما انا ادرى ايها هاج لي كربي
اوجهك في عيني ام الطعم في فمي
ام النطق في سمعي ام الحب في قلبي

فقال : والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا

وقد سمع الكندي أبا تمام يمدح المعتصم ويقول فيه

اقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم احنف في ذكاء اياس

فكان نقده قوله لابي تمام : ما زدت على ان شبهت الامير بمن هو دونه ، وباقي القصة معروف .

وقد نحل الكندي النوادر وحكى انه قال يوما لجارية كن يهواها .

اني ارى فرط الاعتياصات ، من المتوقعات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المقولات ، فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة ، فقالت :

ان اللحى المسترخيات على صدور اهل الركاكات محتاجة الى المواسى الحالقات . ومن المؤكد ان هذا عبث بالتاريخ وقلة اعتبار لفيلسوفنا ، وقد رويناها تلطيفا للجو ليس غير .

ولقد اتهم الكندي بالبخل ونسب اليه انه كان يوصي ولده محمدا بقوله :

... واعلم ان الدينار محموم فاذا صرفته مات ، واعلم انه ليس شيء اسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر

سلام على الكندي ، لئن كان بخيلا في المال ، لقد كان كريما ذا عطاء في العلم .



الى الذين يتطلعون الى الخلود الاناني

أطبق الصمت شفاه البلد ... واستلان النوم جفني ، ويدي

لم يكن كوخي ، ولا متكئي ... وافر الدفء ، ولا متسدي

أنا في الليل ... لاني شوقه ... شوق قلب الليل للفجر الندي

سمري من همسة النار ، ومن ... شهقة الريح ، ونقر البرد

نزل الشك ضلوعي ، ومشى ... في ضميري مشية المتئد

فعلى أنيابه من أضلعي ... نتف ... أو مزق من كبدي

هارب من جسدي ، ملتمس ... عالما خلف حدود الجسد

ان « عدنان » صغيري ها هنا ... ... انه بوابة في الابد

فتطلعت اليه ، اجتلي ... حرد الذل !! وذل الحرد !!

أنا كل الامس ... لكن في أبي ... وأنا كل غد في ولدي

نسق مطرد ، لا يأتلي ... موغلا في نسق مطرد

زورق يمضي ... فامضي مكرها ... من غد الامس ، الى أمس الغد

حامد حسن

بين الحياة والموت

شعر عبد الغني حلوجي

(١)

لا أبالي بفنـائي ، لا أبالي ببقائي
لا أبالي ظلمة اليأس ، ولا نور الرجاء
لا أبالي دنس الارض ، ولاطهر السماء
لا أبالي بمفاهيم العبيد الاغبيـاء
أزمة تعصف بي عصفا وتجري في دمائي
حرة كالنار ، كالنسر تسامى في العلاء
في جناحيه اذا حلق حقـد الضعفاء
طار يبغي الشمس أوأسمى ، كثير الخيلاء
جنحه باق ، وان ذاب جناح الجبناء
ازمة ، كم تعشق الازمة نفس العظماء
فاذا نفسي حيرى بين ألوان الضياء
واذا اعماقها القصوى عراء في عراء
واذا بي مبصر ما في ضمير الكون راء
شاغل كل فراغ ، مالىء كل فضـاء
شاعر اني من نار ومن طين وماء
خالد فان ، سعيد بخلودي وفنائي
فرح ، باك ، سعيد بهنائي وشقائي
جامع كل نقيض ، مرتد كل رداء
سيقول الناس : مغرور كثير الكبرياء
ويقولون : شقي يبتغي بعض العزاء
وتقول النفس بل ساعة وحي وصفاء
سوف اتلوها على الناس قصيدا من وفاء
فبحسبي أنني قد عشتها ذات مساء
سوف تغدو صفعة الصدق على خد الرياء
قد تود الضعف احيانا نفوس الاقوياء
مارد يعبث بالطفل فيلهو بالبكاء

(٢)

في صميم الموت ألقى أثرا فيه خلودي
في فنائي كبقائي • وسهادي كهجودي
أنا ان اعدم فلن اعدم اثبات وجودي
في بلاد كل ما فيها لحود في لحود
فلحود تحت ظهر الارض فاضت بالصديد
ولحود فوق ظهر الارض تمشي في الحديد
أنفس ان يذهب القيد بكت عهد القيود
أو يقل لا تسجدي ذلا ، أطالت في السجود
أنفس تحيا على الماضي ، على الماضي البعيد
عهدها الزاهي الذي تزهو به عهد العبيد
علمت مستنقع الاموات مفهوم الركود
حظ من يزعم فيها انه خصم الجمود
حفظ فصل من كتاب ، أو سطور من قصيد
قد يرى الدود ضياء الشمس في العام الجديد
غير ان الدود لا يصبح فيه غير دود

(٣)

أنا ان أحى حياتي فهي معنى قد فهمته
كان رمز الموت والذل ولكني انتشلته
عاث دود التفه القتال فيه فشفتيه
وطواه عفن الاجيال طيا فنفضتـه
فهو طفلي بيدي من عدم كنت خلقته
حين في ثورة شعب يهدم الظلم صنعته
حين في غضبة من يغضب للحق عشقته
حين في أنشودة المسجون كالرعد احترمته
حين في بسمة سخر فوق ثغري قد رسمته
حين احسست الخلود الشعر حرا فنظمته
حين أحسست به في الصوت ان أخل مددته
حين أحسست به في الجدران يبد سألته
حين أحسست به في صورتي يوم لثمته
حين أحسست به في رعشة البرد اتقيته
حين أحسست به في لفحة الحر مشيته
حين في الطفل اذا يرنو الى النور ولدته
حين في كل عروقي كالدم الغالي حففته
حين في نفحة زهر الروض كالزهر شممته
حين في الريح اذا زمجرت الريح سمعته
حين في الظل اذا شعشعه النور رأيته

حين في الينبوع ، ماء طيبا كالشهد ذقته
حين في دفقة خمر الكأس نشوان شربته
حين في نهد الفتاة الغض غضبان عصرته
حين في فتحة عيني لدى النزع تبعته
حين لم أتركه يمضي ساعة الا التهمته

(٤)

أنا ان عشت ولم أدرك بكفي السحابا
لم أنل من أمل أهذي به الا السرابا
قابعا في حجرة اقرأ في الدرس الكتابا
قاتلا جسمي عذابا، مرهقا نفسي اكتئابا
فبحسبي أنني ماخنت في العلم الشبابا
دائبا أجلو عن الباطل والحق النقابا
نازعا بسمة اعجاب هي السحر مذابا
كنت سيفا حطم الصخر فأوراه وذابا
واذا عشت فقيرا لم أنل الا العذابا
لم يجدني ظالمي أرجو على ظلمي ثوابا
لن يرى مني اعتذارا ، لن يرى مني عتابا
لن يرى الا حرابا تتلوى وحـــرابا
وشعوبا تتلظى وجماهير غضـــابا
لست أرجو رحمة لكنني أبغي انقلابا
نحن في الدنيا نضال ، ذل من هاب وخابا
لن ترى الرفق ذئاب الشعب مادامت ذئابا

(٥)

أنا ان مت فقد عشت زمانا ووجدته
واذا يغلبني يوما فاني قـــد غلبته
حين كان الموت من حولي سدودا فهددته
حين في المهد علا صوتي طليقا فشتمته
حين من روحي ومن عقلي ومن «كلي» طردته
حين في أهلي وفي صحبتي وفي شعبي قتلته
حين في جمجمة الكاذب ذي الحقد احتقرته
حين في التسليم للاقدار لا انكار عفته
حين في الدمعة لا الطعنة للطاغي كرهته
حين في الترقيع لا في الثورة الكبرى أبيته
حين في السجدة للطاغي وان جار تركته
حين في الدعوة للابراج من عاج هدمته
حين في كل كتاب لم يكن حرا طويته
حين في فلسفة السيد للعبد رميته
حين في الجرح اذا يكمن في الجرح نكأته
حين في انقاذ مسلول من السل هزمته
حين في مقبرة الاموات في العظم هشمته
حين في نزع خريف الروض في الاوراق دسته
حين في الكأس اذا تخلو من الخمر كسرته
حين لم أتركه حيا ساعة أنى اكتشفته

(٦)

أنا ان مت فقد عشت كما أحببت عمرا
لم ينل نفسي موت ، انها أرفع قدرا
نال عظما كان معروقا ولحما كان مرا
أنا ان مت حريقا ، ظنه من ظن شرا
فبحسبي أنني أيقظت من قد نام ذعرا
يقظة تحمل بشرى يقظة كالحشر كبرى
وبحسبي أنني لم أسأل الاحياء قبرا
خل عنك القبر لا تعبأ بقبري وابن قصرا
فعزائي العالم الطالع بعد الذل حرا
عاش للآتي وعاش الظلم في دنياه ذكرى
في ذرى الاهرام صخرا، وثنايا الكتب سطرا
وبحسبي أنني أصبحت بعد الموت جمرا
جمرة تسطع تيها ، وتهز الرأس كبرا
أدفأت شيخا أتاها يشتكي جوعا وقرا
سره أن نال دفئا ، ثم لم يستقض أجرا
شكرا لله ، وماكنت الذي يطلب شكرا
أنا ان أشكر على الخير فلن أصنع شكرا
وبحسبي أنني نور زها في الليل شطرا
كتب الشاعر في لألائه الوضاء شعرا
سهر الليل ولم يشعل سراج الزيت فقرا
عاش للشعر ولم لم يحي للشعر لأثرى
ورأته الطفلة السمراء قبل الفجر فجرا
فمضت تكتب لي في عشها الدافىء سرا
صفحة كالطيف لطفا ودم العنقود سحرا
فاذا عادت اليها كيتيم العيد حسرى
وعليها أنه « مات » خطوطا كن حمرا

سكبت فوق رمادي دمعة حمراء أخرى
فاذا جف رمادي ركب الريح وأسرى
طار للسمراء يرجو قبلة لم تقض دهرا
هو أدرى أين يأوي ، حين تغفو هو أدرى
أعلى الخدين زهرا ؟ أم على المبسم خمرا ؟
أعلى الاجفان وسنى ؟ أم على الاهداب سكرى ؟
وعلى النافذة اهتزت وفود منه غيرى
ترمق الناس وتخشى أن يراها الناس حيرى
تتلوى لم تطق عن وجنة السمراء صبرا
فاذا ما استيقظت تمسحه خدا ونحرا
ويحها ماضرها لو قدمت عذرا وعذرا
نفضت عنها رمادي لم تجد في الامر نكرا
هام دهرا حولها ثم مضى يحمل عطرا
فأحال الصخر نبعا ، وأحال الارض زهرا
لاتقل مات فما مات الذي عانق « سمرا »

(٧)

واذا مت غريقا وطواني البحر طيا
هزت الاعماق عني جثتي هزا قويا
هزة عشت لها حيا وما زلت وفيا
أنا منها واليها ، وهي مني واليا
جف سطح الارض يا أعماق فليصبح نديا
وغدا ضحلا شحيحا فليكن ثرا سخيا
ان في البحر لظمآن الى الثورة ريا
سوف يرقى بي على أمواجه العليا رقيا
أنشق الريح . ألم أبسط الى الريح يديا ؟
وأرى النور . ألم أفتح عليه مقلتيا ؟
جثة تطفو وكم من أنفس تجثو جثيا
ثم أمضي في طريقي راجيا ركنا خفيا
احمل القوت الى الترب فيرتد فتيا
يبسم الفلاح ان يزرع به القمح الشهيا
ليس يدري لم أمسى زرعه خصبا غنيا
لا تقل مت اذا مت ، ولا تقس عليا
كنت قبل اليوم واليوم وبعد اليوم شيأ
ان شيئا من رأى الدنيا نضالا أبديا
في نضال الموت ميتا ، ونضال الموت حيا
أنا من حطمت قيدا ، كاد يبقى سرمديا
فلسفات قتلتني ، يانع النفس صبيا
علمتني الغي رشدا وأرتني الرشد غيا
خدمت ذئبا سعيدا ودهت شعبا شقيا
أنا من حطمها ثم انثنى طلقا نقيا
ملأ الآفاق والايام والدنيا دويا
سوف أبقى في فم الدنيا حديثا عبقريا

(٨)

واذا بعد غد في زحمة الحشر بعثنا
وأتى الله وفي يمناه ميزان وجئنا
سرت للنار ولم أطلب لأعمالي وزنا
خل عنك الحق والعدل وماقلت وقلنا
نحن للنار وفي النار وبالنار خلقنا
نحن في موطننا في موطن العبدان ثرنا
لا علينا ان عرفنا اليوم ما كنا عرفنا
وأبينا الظلم والذل كما كنا أبينا
حسبنا أنا بأيدينا هدمنا وبنينا [١]
وشعرنا أننا نستطيع حكما فحكمنا
وسمعنا ما يقول الناس عنا فسخرنا
فهموا فهما رددناه عليهم وفهمنا
(وجعلناه يقينا بعد ماقد كان ظنا) [٢]
سترى أنا بأيدينا ستغدو النار عدنا
حلقات من نضال خالد كان وكنا
نحن فيه وله دون الورى عشنا ومتنا
ان نمت فالحق أنا عندما متنا انتصرنا

(١) بعض هذه الابيات وردت في قصيدتي (ثورة الشام) وكان موضعها هنا في الاصل .

(٢) البيت للبهاء زهير وقد نقلناه من الغزل الى ما ترى ...

الفجر الجديد العدد ـ ٦ ـ ١ / ٨ / ١٩٤٥
عبد المعين الملوحي

حاجتنا الى نقد متجرد

بقلم :

اشارة : النقد الادبي ، كتاريخ الادب ، ليس بحد نفسه أدبا • غايته امامه لا في جوهره ، وكذلك اهميته • يعظم شأنه بمقدار ما يبني ، اي بمقدار ما يهدم النتاج الرخيص ويرفع على انقاضه السنن الصائبة ، وبمقدار ما يشدد على مواطن العافية في كل أثر أدبي يتناوله •

وعليه فقد افسحنا في المجال للاستاذ ابراهيم عبده الخوري لكي يطرق موضوع النقد ، لماما ، على صفحات « اضواء » ، وهو الذي كرس له كتابا عنوانه تحت المجهر • ولطالما قرأنا للاستاذ الخوري مقالات شائقة في مجلة الاديب وفي مجلة الجمهور الجديد حيث يشرف على القسم الادبي ويقوم بأعمال الريبورتاج في حقل السياسة والاجتماع •

النقد الادبي الحديث يتمتع عندنا ، في الوقت الحاضر ، بوضع يخالف تماما الوضع السائد في مختلف العواصم الغربية • وهو وضع جديد بأن يلتفت ناحيته الانسان الساعي الى الوقوف على معالم الحقيقة ••• كل حقيقة ، ليطالب من يهمهم الامر بأن يحترموا قاعدة النقد الادبي ويحافظوا على تراثها الخالد ، بأن يضعوا العاطفة جانبا عندما يتناولون أثرا ما بالنقد ، ويعملوا مجردين عن كل غاية ، على اظهار العوامل التي دفعت بهذا الأثر الى التحليق بجناحيه زهوا في سماوات الادب ، او على نبش كوامن الضعف التي تحط من مقامه ، وتهزم طيرانه •

يؤلم كل امرىء لما تقدمه المطابع يوما بعد يوم ، ان يجد من يعنون بشؤون الادب الطالع ، والذين يسخرون اقلامهم للكتابة عن هذا الديوان الشعري ، او هذه المجموعة القصصية ، او ذاك الكتاب السياسي لان مؤلفه انما هو شخص صديق •• يؤلم ذلك المرء ان يجد هؤلاء قد نسوا ، او تناسوا عمدا ، مهمة الناقد المثلى • فبدلا من ان يقلبوا على مهل صفحات الكتاب الذي بين أيديهم ، ويمعنوا فيه قراءة ، ويتحرروا عن المنافذ التي تهيء له قيمة في الاوساط الادبية ، او يكشفوا عن مواضع الركاكة فيه •• بدلا من كل هذا ، يحبرون عنه – متسلحين بعنصر العاطفة – صفحة او صفحات ، ويضعونه في مصاف الكتب العربية التي نقدر فيها سمو العطاء ، لما تذخر به من غذاء فكري منشود • وانطلاقا من هنا نقول : انهم ما اجهدوا العقل بمطالعته لقول كلمة حق فيه • عملهم قام على المدح ، وعلى المدح فقط • مدحوا الكتاب ، ومدحوا صاحب الكتاب الذي هو ، بنظرهم ، الاديب المتعلق بأدبه • هو صاحب قماشة أدبية ملموسة • لا يدفع بنتاجه الى المطبعة الا بعد ان يكون قد صب فيه جهده •• كل جهده ، وغربله مرارا ، وعلم مسبقا ان الايدي ستتلقفه بسرعة •

اما بنظر المؤلف ذاته ، فان كتابه ، هو ، بدون ادنى شك ، كتاب الموسم • الادباء الناشئون – وله بينهم أكثر من صديق – سيخصصون له مقالات تشكره على عمله الناجع ، وتطلب •• وتلح في الطلب ، ان يظل باستمرار يمد المكتبات العربية بمؤلفات نابضة بالمعاني المدروسة ، زاخرة بالجمل المستطابة ، مؤلفات تبنى على اسلوب يهضم • انه واثق من ان الاقوال المعسولة في جانبه ، وان قاموس النقد قد فقد •

وغالبا ما يستضعف المؤلف زميلا له ، مسؤولا عن الصفحة الادبية في الجريدة الفلانية ، كي تكون كلمته لا ارق • حتى أنه ، في احيان عديدة ، يعرض عليه ان يحضر بنفسه مقالة عن كتابه • ولا يخجل من عمله هذا ، والذي هو ، بلا ريب ، عمل حقير ••• تافه • جل ما يصبو اليه ان يلاقي مولوده تربة خصيبة فيرعى فيها ويسمن •

في الآونة الاخيرة لاحظنا ان اديباتنا المتحررات والجاهلات لمفهوم الادب الحي ، يتوسلن من الذين

يحضرون كلمة عن كتبهن ، ان لا يجرحوا شعورهن ، بمهاجمتهم لمواضيعهن وافكارهن واسلوبهن الكتابي . واتباعهم طريقة التوسل ، ناتج عن انهن عالمات بركاكة اسلوبهن ، وضعف شخصية ابطالهن ، وسطحية التصوير للبيئة وللبيئات التي يتقلب فيها هؤلاء الابطال . ولا ننسى ان مؤلفاتهن توضع ، غالبا ، بأقلام رجالية .

اما اذا انقلبت الآية ، وانتصرت عملية النقد ، فان سهام التشهير والانتقام تنحر الكاتب في الصميم ، وتهشم ما قدم .

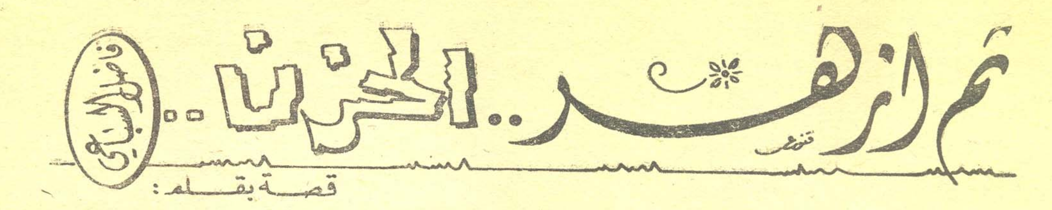
تساءلت واتساءل مرارا : لماذا نخاف من النقد الادبي الصريح ؟ وهل في هذا النقد ما يؤذي ؟

أن خوفنا من النقد الصريح خوف يبرره عدم ثقتنا بما ننتج . فنحن خلقنا لنعطي . ومن طبيعتنا اننا نتعلق بالعطاء الخير ، ونبذل جهودا جبارة لنعزز معنوياته ، وندع رايته خفاقة دائما . نحن من الطينة السخية .. من التربة التي لا تجف ينابيعها . نحن من ارض الابجدية .. من البلد الذي أنبت العديد من رجالات الادب والشعر والفن في الازمنة الغابرات ما ادرنا الوجوه عن نبراس الحقيقة . وتمسكنا بأساليب النقد الصريح واضحا على رؤوس الاشهاد . وهذا التمسك لدليل قاطع على اننا آمنا بالنصائح تأتينا عن طريق القلم ... السلاح الذي يقهر مهما جارت الايام والسنون .

واليوم نتطلع صوب الدراسات الادبية ، فنجدها - والالم يحز في النفوس - خالية من النقد الذي يضج بأرشادات تحمل الكاتب الناشيء على تحاشي المعاني الغثة والالفاظ المبتذلة ، او نجدها قائمة على التجريح والطعن.

واقع النقد الادبي واقع متدهور . وحرام ان يظل متدهورا . حرام ان يركع صاحب الانتاج امام من يتناول انتاجه بالنقد كي تكون مقالته « تبيض » الوجه . وجبان كل من يذعن لتوصيات صاحب الانتاج ، ويحيد عن مهمته كناقد ، هذه المهمة التي قدسها كولريدج وسانت بوف واميل فاغيه وروبير كمب ، وغيرهم من النقدة العالميين الذين ولجوا التاريخ من الباب الارحب .

ان النقد الادبي المتجرد عن العاطفة عامل فعال من عوامل تقرب ادبنا صوب العالمية . اما اذا ظلت مؤلفاتنا الحديثة مجهولة في الاوساط الادبية العالمية ، فذلك عائد ، دون محالة ، الى ركضنا وراء الاساليب المأجورة التي تجعل معطياتنا معروفة ، فقط ، في وسطنا الادبي الضيق ، ولاسابيع معدودة . وتبا لأدب لا ينطلق خلف الشطوط ، حيث الكلمة عظيمة وخالدة .



لم يكن بد من تظفر اختي « **سليمى** » باعجاب السيدات الخاطبات ، لانها جديرة بهذا الاعجاب حقا ، ولان هناك من سبقهن اليه ـ واعني « **مختار** » ـ فقطع عليهن كل درب ٠ ودعي عمي لابداء الرأي في شخص الخاطب ، فأقر الخطبة وزكى الخطيب ٠ وكذلك عقد لسليمى على مختار في مطلع الشتاء ، استعدادا للزفاف في الصيف القادم ٠

ورأينا سليمى تزدهي بيننا فرحا ٠ وسرت لها اختاي الصغريان « **رابعة** » و « **عالية** » ايما سرور ٠ واما امي ، فقد بدا انها تشفق على فرحة الاسرة ان توهنها ضربة يصوبها حظنا العاثر ٠٠٠ ففرحت وأشفقت ، وكتمت الفرحة والاشفاق في عميق فؤادها ٠

وايا ما كان من حقيقة شعور امي ، فقد عادت الى الاسرة المباهج والمسرات التي استشعرناها قبل هذا اليوم ، من اعوام ستة ، حين خطبت « **نورة** » « **لعمر** » ٠ وكذلك امسى مختار يتردد على بيتنا في بعض امسيات الشتاء حاملا في يده هدية مثلما ينطوي جنباه على العاطفة المحبة المتأججة ٠

ولقد آنست في مختار نضج الشباب وعنفوانه واندفاعه ٠ كان متوسط الطول ، نحيل القامة ، عالي الجبين ، ما تفتأ عيناه تومضان فيما هو يسترسل في حديثه معبرا عن آرائه التي لاح انها تنتمي بنسب واضح الى حزب من الاحزاب القائمة ٠ ولقد بدا ايضا انه شديد الاعجاب بنا : بخطيبته ، وبأمي ، وبتعاون الاسرة وكدها الدائب الصابر ٠ وقد قال ٠ بعد ان حدث عن احوالنا ، بأنه لم ير فيمن عرف من الناس اسرة تضارعنا جدا وصبرا وتآزرا ٠٠٠ فأدركت انه من قادري الكفاح والنضال على مختلف صوره تقديرا هو أشبه شيء بالتقديس ٠ فأين هو من تلك التي عيرتنا يوما بأننا بنات امرأة خياطة ؟!

وقال ذات يوم ، وهو يعني امنا الحبيبة :

ـ ان في صفوف الشعب لنماذج من الكفاح الانساني ترقى الى **مستوى البطولات** ٠ وان هؤلاء هم القدوة والمثل لكل من يتوخى البحث عن القدوة الصالحة والمثل الاعلى !

كان مختار يتكلم على نحو بالغ الاندفاع والايمان٠ وكان هذا القول ، الذي جهر به في حميته ، أروع ما سمعت امي ، وسمعنا ، من اطراء لجهدها المبدع



وجهادها الرائع ٠ وخيل الي لحظتها انها قد اطرحت ، في تلك الساعة ، تحت وطأة احساسها الظافر ، كل ما عانته من رهق الايام ونكدها وبؤسها ٠٠٠ فها قد قدر لها ، اخيرا ، ان تشرع في حصاد زرعها الذي نمته على مدى السنين وسقته دمع العين ٠٠٠ ها هن اولاء بناتها يمعن صبا ويبلغن من العلم مبلغا ! وانهن ، مع الصبا والعلم ، ينلن حظوظهن المقدرة مما كتب لكل عذراء أن تناله وتنعم به ٠

ولقد سيطر علي ، في تلك الآونة ، نوع من المقارنة بين كل من « مختار » و « سمير » ٠ نعم ، ان ثمة اعتراضا يرد على المقارنة من مبدئها : فمختار مملوك لسليمى ملكية لا تقبل طعنا (وليغفر لي التوسل بالاصطلاحات القانونية ، فانني اليوم طالبة حقوق !) واما انا ، فلا املك من سمير الا عاطفة أهدهدها في ضميري على حذر ، واتمنى له االنمو في ضميره ـ هو ـ على مر الايام ٠ ولكن صديقي ، بعد ذلك ، يفترق عن مختار في انه ارق نفسا واقل تصلبا ومحاجة وعنادا ٠ انه ممن ولدوا ـ كما أسماهم مختار ذات امسية ـ « وفي افواههم ملاعق من ذهب » ! بيد ان ذلك كله ما كان ليحملني على الانصراف عنه في شيء ، فلقد استسغت طبعه السمح الرقيق وهو في السن

التي تصغر الآخر سنين عشرا ٠٠٠ ثم متى أمسى تقلب المرء في اكناف السعادة والعيش الرغيد مدعاة للزهد به والانصراف عنه ؟ لقد أفعمت - انا شخصيا - منذ طفولتي وفي مطالع صباي ، بالحزن والضنك ، وكابدت واهلي السعي الحثيث لتوفير الحد الادنى من اسباب الحياة ٠٠٠ فلأدفنن متاعب الماضي في ذلك الثرى السعيد الرغيد ، ولأنسين آلامي فيما انا اريح رأسي على صدر تغمره عاطفة فياضة من القلب المحب الشفوق!

فهل تراه - صديقي - يعيرني المزيد من اهتمامه مثلما أسلمت له قياد قلبي وفكري جميعا ؟!

اني لا أكاد اتراخى عن الحلم به والتفكير فيه دقيقة واحدة من دقائق يومي ٠ ولقد دفعني ذلك لأن اعتذر غير مرة عن مرافقة سليمى وخطيبها واخوتي الثلاثة الصغار في ذهابهم معا الى السينما ٠

يا للأيام ما اسرع جريها في مسارب الزمن !

بالأمس ، بالأمس القريب ، كنا نخرج مع نورة وعمر ٠ وكنت ، في خروجي معهما ، سعيدة سعادة رابعة وعالية وعلاء هذه الايام ٠ ولكني اليوم اعتذر ٠٠٠ وفي اعتذاري أدعي حرصي على استذكاري دروسي طورا ، والمرض او انحراف المزاج اطوارا ، لأظل هنا في البيت مع امي ، اذاكر ، واتابع احلامي التي أرود فيها ورفيقي دروب المنى وآفاق دناي الزاهرة الحالمة ! فكيف يجوز عندي ان اترك رفيقي في دربه وحيدا لأرافق سواه في أمسية من أماسيه الساهرة ؟!

ونعمت سليمى بخطيبها ايام الشتاء ٠ ولم تعارض امي في هذا النعيم ٠٠٠ فان من حق سليمى ، ومن حق مختار كليهما ، ان يتمتعا علنا بمباهج خطبتهما ما دام قد عقد بينهما المأذون ٠ ولقد شهدت هذا النعيم وعاصرته منذ أتيح لمختار ان يدخل بيتنا خطيبا لسليمى ٠ وفي شهودي ذلك ، كان يراودني خاطر لبث يكبر وينمو ، حتى اتضح على الشكل التالي : راتب سليمى اصبح بعد طويل الصبر جزءا اساسيا ترتكز عليه الاسرة في معاشها ، فاذا ما آن لها ان تغادرنا في القريب الى منزل الزوجية ، فما مصير هذا الراتب ؟ واي انتكاس خليق به ان ينال معاشنا ؟ واخوتي الصغار ما زالوا بعد على مقاعد الدرس ، وتكاليف دارستهم تتزايد مع اجتياز الصفوف دراكا ٠

وليس من شك في ان امي قد راودها مثل هذا الخاطر ، وانه راود سليمى ذاتها اكثر من كلتينا ٠٠٠ والخشية ان يكون هذا الراتب من المطامع التي حفزت مختار - بعد هذا الذي يعلن من مبادىء سامية - على الزواج من اختي ! فعلى اية حال يكون قبوله بتنازل سليمى عن بعض راتبها ، أو جلة ، لامي ؟

ولم تفصح امي ولا افصحت سليمى في هذا الشأن من شئون حياتنا ٠٠٠ الى ان كان يوم وجدت فيه اختي تقتحم هذ الموضوع ، معلنة انها اذ تواظب على وظيفتها بعد الزواج فانما لتأتي بالراتب - راتبها - جميعا فتلقيه بين يدي امنا التي طالما سهرت الليالي في سبيل تنشئتنا ورعايتنا وتقديم اللقمة السائغة لنا ٠٠٠ وانها لتقول في ايثار زاد في اكباري لها :

- ٠٠٠ خذي راتبي كله ، يا امي ، وادخري منه ان شئت للمقبل من السنين ، حيث تشب رابعة وعالية وعلاء ، فيكون لهم ان ينتسبوا الى الجامعة ٠ ولن اقتطع منه الا ما يغنيني عن مد يدي الى مختار بطلب ثمن لفستان او قميص او حذاء ٠ ولا تسامحيني، يا اماه ، اذا اقتطعت من الراتب ما يزيد على ربعه !

كانت امي ، تلك السويعة ، عاكفة على فستان تسرجه بابرة في يدها ٠ وقد اعتصمت بالصمت ، حين انتظرت سليمى منها ردا ، وانتظرت ٠ وتمنيت لو كان لي ان اسبق اختي في هذا الايثار الكريم ٠٠٠ ولكن بحسبي ، في وظيفتي اليوم ، ان اكفي امي مئونتي كلها ، من نفقات سفر واقامة ودراسة ونفقات لبسي - وهي ليست يسيرة اليوم وقد غدوت في عداد الموظفين - هذا الى ان راتب سليمى يربو على راتبي بما يعدل الثلث بسبب الاختصاص الذي استحصلت عليه في دراستها التعليمية ٠

ورفعت امي رأسها ، فبدت عيناها تفيضان شكرا :

- ان الراتب اولى به انت ، يا بنيتي ، واولى به بيتك وصغارك الذين ستنجبينهم لمختار عما قريب !

وعاجلتها سليمى :

- ان لمختار راتبه ، يا اماه ، وانه لأربى من راتبي ، فلقد اجتاز خلال الاثنتي عشرة سنة في الوظيفة درجات شتا ٠٠ ثم انه يتقاضى ، كما حدثني ، تعويضات على اعمال اضافية يزاولها خارج نطاق عمله الرئيسي

لقد اسفرت سليمى ، في الحق ، عن روح مودة ما لها ضريب ٠ وكان بودها ان تتنازل لامي عن الراتب معظمه ٠ وقد عالنتني ، ونحن على انفراد ، انها قد أوضحت من قبل لمختار كل شيء ، فأقر لها حقها في أن تمنح امها من راتبها القدر الذي تشاء ما دام لها اخوة ناشئون يسعون في مضمارهم الدراسي ٠ ومهما يكن ، فقد رأت أمي آخر الامر ان تكتفي بنصف الراتب ، فبحسبها ذلك مع كدها الدائب ومع كفايتي لها نفقاتي الشخصية ٠

وفي الواقع ، لقد **استثيرت عاطفتي ، في تلك الفترة من عمري ، على نحو ما !** ٠٠٠ اجل ، وعندما اذكر العاطفة ، فانما اعني بها ، على وجه التخصيص ، عاطفة الحب التي اضمرها للشاب الذي أسرني حين

لم يـــزل قلبي برعم وردة يتفتح فن مكنونه ٠ استثير حبي له استثارة حافلة بالوجد والهيام والرغـــائب الهوجاء ! ولقد باتت تداهمني احلام ، أجدني فيهـــا معتصرة بين ذراعيه ، مستلقية في احضانه ، أعل من حبه ما يزيدني ظمأ وشوقا وضراما ! ولم يزدد عجبي من تلك الاستثارة التي حفل بها وجداني ٠٠٠ فلقـد أطلق ، ما عرفت من خبر سليمى مع مختار ، كوامن حبي مرخيا لها الأعنة حتى آخرها ، وبات يستحثني على التعجيل بالظفر بحبي انا الاخـــرى ٠ لقد حبوت سمير بمحبتي طوال عام وبعض العام ٠٠٠ فالى متى أظل معلقة بخيوط الحب وحده ، وها هي ذي اختي سليمى تقـــع ـ في ايام معدودات ـ على ما تنشـد احسن الوقوع ؟

ثم أنني توجهت ، بعيد العطلة الانتصافية ، الى الجامعة لأحضر بعض محاضراتها وأحيا في الجو الجامعي الذي تحيا فيه جموع الطلاب والطالبات ٠ ولماستأخر ، في تشوقي لسمير ، عن مرافقته في السفر الى دمشق في سيارة واحدة وعلى مقعد لصيق بمقعده !

وعلى طول الطريق ، والسيارة تنهب بنا السهول التي خضرتها طلائع الربيع ، رحنا نتحدث في مختلف الشئون حديثا عذبا مستساغا أفرغت فيه معـــاني الرقة والوجد والشوق كلها ، وانقلب سمير في ناظري الى اكثر من شاب آسر خالب ٠ وما كان الحـــديث ليملكنا ناصية من نواصيه ، وانما كان ينقلنا مـــن جانب فيه الى آخر ، حتى وجدتني اخيرا وجها لوجـه أمام سمير وهو يطريني لقدرتي على الجمع بين الدراسة والوظيفة ، وليس يأسر الانثى كالاطراء يسوقه اليهـا معجب او محب ٠

وقال وهو يتخذ موقف الذام نفسه :

ـ ٠٠٠ اني لأقارن احيانا بينك وبين نفسي ، يا هالة ، فأرى البون شاسعا ٠ لقد كنت اكثر تفوقا في دراستك الثانوية ، وانك اليوم لتمارسين وظيفة وتدرسين في آن ٠ ولست اشك في انك ، في نجاحك القريب في الصف الاول ، ستبزين نجاحي الذي كان قبل عامين ٠ انت ذكية ، يا هالة ، وانا اغبطك على هذا الذكاء الذي متعت به ، واسعد به في آن معا ٠ ان لك لفضلا على نفسك كبيرا ٠ ولكن (وقالهـــا بمرارة) اي فضل تراه لي على نفسي ؟ ان اغبى الشباب، اذا اتيح له ما يتاح لي ، ليتوجب عليه ان يرقى مثلي صفا في مدرسته بعـــد صف ٠ هل تصدقين ؟ اني ليخامرني حلم ، في ساعة من ساعات حديثي مـــع نفسي ، لو ان لي ان **ألغي** حياتي لأبدأها من جديد ، وعلى نحو آخر غير هذا الذي سلكت ، اذن لاخترت الاعتماد على نفسي الاعتماد كله ٠

وهزني طرب عظيم ٠

هو ذا سمير يكشف لي ، في هذه اللحظـــة ، جوهرة العامل النشيط ٠ **انه لا يقل اذن عن** مختار معتنق المبادىء الانسانية ، بل انه لأسمى منه ، لانه يشعر ـ وهو المستظل أكناف السعادة ـ بوطأة هذه السعادة ورغبته في الانسلاخ من بلهنية العيش الرغيد الذي قدر له ان يوضع في نعيمها ٠ واذن ، فالقيـــم النبيلـــة التي يؤمن بها لا شك تصدر عن قـــرارة وجدانه ٠٠٠ واي اثر افعله في نفسي اذا ما حدثته حديث اسرتي ، خبر امي المجدة الجاهدة ٠ اني لقريبة من فؤاده الآن ، فيمـــا يملؤني من يقين ، ولكنني سأزداد منه قربا لو أفضت على مسمع منه بحـــديثي الشجي ، الذي يثير في النفس الحـــزن والفرح ، والسخط والرضا ، البكاء المر والضحك العذب الهنيء ٠

وهممت بأن افيض ونحن معا في نادي الجامعة ، فاحترت كيف أبدأ ٠ وكدت احدثه ونحن خروج من محاضرة لي أبى الا ان يحضرها معي ٠ كنت أقرأ في عينيه صفاء القلب واضطرام الحب جميعا ٠

وفي ذلك المنتدى الليلي ، **وفي ركن منه قصي** جلسنا نتبادل الحديث في ظل موسيقى حالمة يرسلها عازفون في صدر القاعة ٠ وشاء ان يحتسي « قدحا » مع العشاء ، وبيت ان اشاركه في شرابه ٠ وتفتح ، في أخريات السهرة ، والليل يوشك ان ينتصف ، قلبه الزاخر ففاض لهفة ورقة ووجدا :

ـ اسعد ليلة في حياتي ، يا هالة ، هي هـــذه التي اجالسك فيها ، في هذا الركن الذي طالما حلمت بالجلوس اليك فيه !

واشتعل خداي ٠ وثار الحنين في صدري ٠

وطلب قدحا جديدا ٠٠٠ فأحسست عليه اشفاقا :

ـ تريث ، يا سمير ٠٠ لقد اكثرت !

كانت البحيرتان ، عيناه ، تلك الساعـــة ، في اضطراب عارم :

ـ لم أكثر ، يا حبيبتي ٠ ولكني اود ان اكثر من مشاركتك الحـــديث ، ومن الاصغـــاء اليك وانت تقصين علي اخبارك ٠٠ ثم دعيني اعبر لك عن الخواطر التي ترود خيالي هذه اللحظة ٠٠ احس بنفسي هائما مضيعا ٠٠ اني لأحس ، في بعض الاحيان ، بالصغار ، بالحمق ، بالجهل ٠٠ اتمنى لو انطلق الىالدنيا الواسعة الرحيبة ، دنيا المعرفة ، دنيا الشمول والاحاطة ٠٠ احسب اني مبهم القول ما ازال ٠٠ الخواطر في ذهني غامضة مشوشة ٠٠ ان احدنا ليعيش ، هنا ، فـــي قوقعة ذاته مأسور الفكر مشلولا ٠٠ بودي لو اطير الى خارج هذه الحدود ، لو اعيش ردحا من الزمن في باريس وفي عواصم اوربا ٠٠ آه من المعرفة ، يا هالة !

انها لأثمن ما يجتنيه العقل البشري ٠٠ ولكن عشرين وشيجة احس بها تشدني الى هذه الارض بقوة وعمق٠٠ واية وشيجة اكثرها قوة ؟ انت ، يا هالة ، يا هالتي الحبيبة ٠٠ انت وشيجتي الكبرى ٠٠ ان عـاطفتي نحوك لتأخذ علي فكري وتملك مشاعري ٠ اني لأعشق فيك ذكاءك وحذاقتك !!

وأغمضت أجفاني ، أخفي عنه دمعتي الحرى ٠ وأطبقت شفتي أكتم أنة الحب الطافية على صفحة نفسي ٠ وطفقت أصغي اليه في نشوة ما ذقت مثلها قبل اليوم ٠ لقد افصح سمير ، تلك الليلة ، عن مشاعره بما لا يدع مجالا لريبة تومض في الخيال الشاك ٠ ولذ لي افصاحه ، وان جرح تلذذي ما افصح عن توق فيه الى الانطلاق في الدنيا الرحيبة ، دنيا لم اعرف لها حدا أو رسما او معنى ! واية دنيا تكون ؟ دنياه ههنا عندي ، في قلبي ، على صدري هنا !

ومسحت على الجرح لأتابع اصغائي ٠ احب الناس في الدنيا الي سمير ٠ ما طاش سهمي ، ولا ضاعت سدى ليالي الساهرة المؤرقة ٠ احبه حبي لأمي ٠٠٠ أأقول اكثر ؟ ولكن حبي لأمي لا مزيد عليه ٠

ــ ٠٠٠ وهكذا قضى ابي نحبه ونحن بنيات خمس صغيرات ٠ كنت لا أعدو الحادية عشرة ، بل لم اكن قد أتممتها ، يوم قضى ابي امام ابصارنا ٠ اخذت امي تقول مذهوبة اللب : « ابكين يا بناتي ، ابوكن مات ! » ٠ وبكينا ، يا سمير ، كثيرا ٠ وبكت معنا او قبلنا امي والجنين يملأ احشاءها ٠ ثم ولدت لنا اخي علاء ، فأزهر في الاسرة امل غير صغير ٠ اني احكي لك قصة حياتي ، لأن عاطفة عارمة احس قلبي يضيق بها فيجد بحثا عن متنفس ٠ آه ، يا سمير ، يا عزيزي ! كم هي قاسية ومريرة تلك الايام التي عشناها ! « هالتك » ، التي تحدثك اللحظة ، عملت خياطة ، تلميذة خياطة عند امها ٠ انتزعنا عيشنا الكريم من بين اظفار الحياة انتزاعا ، لذلك لم نسلم من الجراح ، جراح في الايدي التأمت وغابت في عالم النسيان ، وجراح اخرى أبعد غورا والصق بالنفس وأعصى على النسيان ٠ لقد سقط منا على الدرب شهيد آخر بعد ابي ٠ كان هذه المرة اختنا الكبرى ٠ افترسها ذلك الداء الوبيل الذي كلما استؤصلت شأفته في موضع دب في موضع آخر من الجسد !! يا له من بحر احزان خضناه تحت جنح الظلام ، وامي ممسكة بمصباحها تتقدمنا وتوري عزمنا وتستنهض فينا الهمم٠ لم تتقاعس اينا عن مساعدتها في العمل وعن المذاكرة في آن ٠ لقد اضطرت نورة ، الشهيدة ، الى القعود في البيت لعجزها عن متابعة دراستها ، وعلى الرغم من انها نفعت كل النفع في مضمارها الجديد ، أعني في مساعدتها أمي ، ألا انها سرعان ما دفعت ثمن نشوزها عن طريق الدراسة التي ظلت اخواتها يمعن فيه ، وكان الثمن باهظا ، هو حياتها ٠ لم تخلع امي حدادها حتى اليوم ٠ كانت ، يوم كرثتنا الايام برزئنا الاول ، قد عاهدت النفس ألا تخلع الحداد الا بمضي خمس ، فلما أوشكت السنون الخمس ان تنقضي كان قد حل بنا الرزء الثاني !

وارتعش صوتي وامتلأت مآقي بالدموع ٠ لماذا أحزن نفسي وأحزنه بهذه الذكريات ؟

ــ يؤسفني ان اسبب لك الغم ، يا سمير !

بدت لي عيناه متكسرتي النظرات ٠ قال مثقل اللسان :

ــ ان الوشيجة التي تشدني اليك ، يا هالة ، لتوجب علينا ان نتعارف الى ابعد الحدود ٠ ان قلبي الساعة يشرب من اشجانك ، من الورد الذي شربت منه انت واسرتك ٠ وذلك ما يزيدني دنوا منك والتصاقا بك ٠ اريد ان اقول : امك سيدة رائعة الصبر ، رائعة النضال ٠٠ **انها نموذج لعطاء الامومة** ٠٠ اني اتمنى لو تكون امي ، ولكنها ان تظل امك دوني ، كان بالامكان ان اصبح لها قريبا او نسيبا ٠٠

واخذ يدي الاثنتين بين راحتيه ، ولثم باطنهما لثمتين ٠ وفي الطريق تأبط ساعدي ، فاستسلمت له ، بل لقد تمنيت بكل جوارحي لو يجذبني الى صدره ، ويشدني الى قلبه شدا عنيفا ٠

وفي مسيرنا الليلي ، لثم راحتي خمسين لثمة ، تسعين ، تسعا وتسعين ٠٠٠ وآه من الحب ثم آه ما اعذبه ! ليته يأخذني اليه ٠ لو طلب تلك الساعة امتلاكي ، هل تراني اتمنع ام استجيب ؟ احسب نعم ، واحسب لا ! يدنيني اليه حب يمور في قلب عذراء ، ويقصيني عنه خوف وحرص ووفاء لكرامة الام !!

ولكن ٠٠ الى اي حد يبلغ بي الخوف والحرص والوفاء ؟

ساهرت سمير هذه السهرات مرات ثلاثا أو أربعا خلال اقامتي في دمشق ٠ ثم انه حضني ذات يوم على زيارته في منزله الصغير المؤثث ، الذي ينتهي اليه درب منعطف مخضر الاشجار حتى في ايام الشتاء ٠ وما كان لي ان استجيب وانا البنت العذراء التي ينبغي ان تتحلى بالرصانة والحذر ٠٠٠ ولكن الحب كان قويا عندي بحيث أنه أزرى بكل قيد يحد من انطلاقه ! وكذلك وجدتني استجيب لحضه طائعة في مرتين اثنتين ، قضيت جواره في كل منهما ساعة او حواليها ، متفلته من كل رقابة غير الثقة بالنفس المشوبة بالحذر الذي سكن جناني مذكرا اياي بالذي أسدت الي امي من نصح وبما أولتني من ثقة واطمئنان ٠

على ان لثماته ، ان جاءت في راحة يدي او ارتعشت لها اناملي ونحن هناك في ركننا القصي او سائران تحت الاضواء الليلية الشاحبة ، فانها ـ اعني اللثمات ـ لم تكن كذلك عندما ضمتنا جدران منزله الصغير الهادىء . كلا ، فقد أودعت في ..... آه ، ان شعورا صاعقا مستعذبا كان ينتابني وانا بين ذراعيه ، تصافح وجهي انفاسه الحرى ، وتتلقى شفتاي منه منحا يزقني اياها زق الحمامة الام لصغيرها المدلل الغالي !

حتى اذا انطلقت عائدة الى نزلي ، ساورتني مشاعر الندم والحزن . وذكرت ، على نحو شديد الوضوح ، امي والذي أولتني اياه من ثقة ، فهل تراني تقيدت بالمسلك الذي ينبغي ان تسلكه فتاة رصينة ؟ ثم ما ألبث أن انخرط في بكاء ، مفرغة فيه كل اشجاني وما اعاني من وقر الحزن والندم ، مستعيدة عقب ذلك هدوئي وارتياحي !

ولست انسى ما كان من سمير في ثاني الزيارتين. لقد اعتراني ، في الحق ، خوف منه بالغ استجمعت في ظله ما املك من شجاعة النفس لصده ولعذله وتعنيفه . لقد قبلت نفسي منه ، بل انها لتترجاه ان يزقني زق الحمام ... واما ان يزيد في هذا ، فان ذلك ...

كنت في النافذة ارنو الى قمم الاشجار الدانية تنوس تحت عصف الشتاء ، فأحسست بسمير حين مست شفتاه جيدي من وراء ، فبعث في اوصالي ذلك الحس الصاعق المستعذب كأشد ما يبعث حس في الاوصال ... ثم انه يحتملني بين ذراعيه محموم الانفاس ، ويلقيني على سريره !

تنازعني ، في تلك اللحظة ، شعوران على طرفي نقيض : ذلك الشعور الصاعق العذب ، وشعور آخر بالحذر حتى منتهاه ! هذا الحذر سرعان ما انقلب **احساسا بالمهانة** يصلي وجداني سهاما من نار .

ما يريد مني ؟

وانتفضت مذعورة ، حين كان هو على طرف السرير يتفرس في بعينين متوقدتين من توق صارخ !

صحت معنفة :

ـ ما هذا ، يا سمير ؟

ولاذ بالصمت . وتفاقم احساس المهانة في صدري .. فذرفت عيناي .

ـ انا آسف ، يا هالة ! ما كنت اقصد ايلامك .

ومسح دمعي بكفه ، فكأنه اغراها بالتذراف . لقد تجلى لي ، الساعة ، اني رخصت في نظره الى حد اعتملت معه في صدره الرغبات المتدنية ... فيالي من بنت تاعسة !

قلت من خلال عبراتي :

ـ اذن ، فقد هنت عندك الى هذا الحد ؟!

وانبعث صوته في لهجة اسيفة :

ـ بل انت عندي اغلى الناس .. وستلبثين كذلك .

ولم ينقطع نحيبي الا لأعلن اعترافي :

ـ الحق .. اني اسلك معك سلوكا لا احسبه السلوك القويم !

قال مدافعا :

ـ لا غبار على سلوكنا ، يا هالة !

ـ ان المجتمع ليغفر للرجل جميع زلاته ، ولكنه لا يتهاون في محاسبة المرأة منذ زلتها الاولى !

ـ ولكن ، ما ابعدنا عن مواطن الزلل ، يا هالة ! ان حبي لك ليرفعك فوق الشبهات .

ـ لو زللت معك مرة لكرهني قلبك الى الابد .

ـ بل انك لتلازمين قلبي الى الابد . ان قولك هذا العامد ، ليؤلمني مثلما آلمك تصرفي غير المقصود !

كذلك نمق سمير اعتذاره . ولكن ذلك ما كان ليطمس في خاطري اني أفرطت في اتصالي به وترددي عليه افراطا لا ينجيني من الملامة . وماذا يمكن ان يعتقد شاب في فتاة ترضى اصطحابه الى منزله الخلوي ؟ وآه من جرثومة الحب تمتلك الفؤاد وتسبغ على العقل سترا صفيقا ! فأي برء من هذا الحب ؟ واين اين الشفاء ؟

واثقل كاهلي ، فيما انا عائدة الى حلب ، هم وأنقض ظهري وزر كبير . وطالعت الفرحة في محيا سليمى ... كانت تجني مع مختار رياحين الحب ، دون ما رقابة من ضمير يهوي عليها بلاهب السياط . لقد سبقتني في درب الحب السعيد ، حين كان غلبني الظن اني انا السباقة في هذا المضمار !

وكان لا بد للايام ان تمضي ، وسليمة رافلة في سعادتها ممعنة في درب حبها العف الرصين . واما الوزر ، الذي استشعرت به بادىء الامر ينقض ظهري ، فقد خف ثقله اليوم تحت وقد الاشواق التي عاودتني وهي اشد عتوا ، حتى لقد نسيت لسمير صنيعه ، وتمنيت لو تسرع الايام دنوا لأطير اليه ، هناك ، ايام الامتحان ، فأزوره حيث زرته مرتين ... ولكن دون أن أدع له فرصة لاتيانه ذلك العبث الذي سبب لي في ذلك الحين ألما ووخزا !

على انه استلفت انتباهي ، في عودتي الى الوظيفة، امر ليس يخلو من الجدة والطرافة مثلما يملأ النفس بنوع من المسرة والابتهاج . ذلك ان مخلص ، زميلي المجاور ، قد زاد في ما يمحضني من مودته واهتمامه ... حتى لقد امسيت اقرأ في نظراته وتطلعاته معنى لا يخفى علي بعد ما قرأت له شبيها قبل هذا اليوم في تلكما البحرتين الزرقاوين ! ولذ لي ذلك ، وحملني على

الزهو والعجب • ولكني عدت اتفكر في مآل هذه العاطفة التي تفضحها في مخلص كل نظرة منه اراها وكل قول اسمعه او تصرف يأتيه بازائي ••• وهل في وسع العاشق ان يستجيب لحب آخر فيجمع الحبين معا في القلب الواحد ؟ او ••• هل من فراغ في القلب أبقاه حبي الكبير ؟

ولزم سمير مقامه هناك ، على مقربة من الجامعة ، يوافيني بالجديد من الملازم الذي تدفعه المطبعة اسبوعا بعد اسبوع • وبمقدار ما كنت اضاعف من فترات مذاكرتي استعدادا للامتحان المتقارب ، كانت سليمى وامي تضاعفان من جهودهما في الاستعداد – ايضا – للزفاف الذي غدا وشيكا • وهكذا اشتريت انواع من الاقمشة عكفت امي عليها تخيطها بعناية الوالدة السعيدة بزفاف اولى بناتها ، وهي التي طالما اعدت للعرائس الغريبات جهازا في اثر جهاز •

وتولت ايام الربيع ، حتى آن لي ان ارحل الى الجامعة ، يهفو في صدري خافق وتزهو اشواق ••• فهل أزوره ، الآن ، في منزله آخر المنعطف ؟ ام أوفر على نفسي جديدا من وخز الضمير قد تورثني اياه زيارتي الآتية ؟

على أن زحمة الحوادث لم تبق لي من سانحة • كنت اعكف على كتبي صباح مساء ، ولا اتركها الا في دخولي قاعة الامتحان ، لأعود اليها وانا على باب احدى حجرات الكلية انتظر دوري لاداء الامتحان الشفوي •

وفي هذه الفترة ، رأيت طلبة الجامعة وطالباتها ينهدون الى دمشق من كل بلد ومن كل منتأى ، حتى اكتظت بهم الجامعة على نحو لم ألحظه في زيارتي السابقة اثناء العام •• ووجدت بين الطالبات الوافدات عديدا من زميلاتي مدرستي في حلب ، ممن حصلت على البكالوريا واياهن في العام الماضي ، ومن اولئك اللواتي سبقننا بسنة او سنوات • وبات عسيرا علي ان اجالس سمير على مشهد منهن ، كل يوم ، في نادي الجامعة او المطاعم التي يتردد عليها الطلاب عادة • وصرت أتحامى جهدي نظراتهن على ما اعرف في نفسي من الجرأة وعدم الاهتمام بتأويل الآخرين ••• ولكن اي ألم يحل بأمي ان هي سمعت ان ابنتها الرصينة هالة لا تنفك ترافق في الجامعة شابا بعينه في رواح ومجيء ؟

ومهما يكن ، فان ايام الامتحان المتسارعة المترادفة بالعمل والاجتهاد ، قد حالت بيني وبين اقتطاف اية متعة من تلك التي قطفتها ذات يوم ••• فلا انا ذهبت اليه في منزله ، ولا رافقته الى المنتدى الساهر ، ولا أمضيت معه امسية من تلك الاماسي الحالمة • فقد كان دأبي ودأبه العكوف على الكتب والامتحان مطرد المسير • ثم اني لم اشعر آخر المطاف الا وامتحاني قد تقضى عندما استوفت اجازتي آخر ايامها ، فتوجب علي ان اغادر البلد ظهيرة اليوم الذي اديت في صباحه آخر مواد امتحاني •

وفي حلب ••• استقبلتني مجددا الاستعدادات القائمة لفرح سليمى القريب • وكان اخوتي الثلاثة الصغار قد فرغوا من امتحاناتهم ، فنجح علاء – ابن السنوات السبع – الى الصف الثالث ، فكانت سنه نموذجية غير مسبوقة • ونجحت عالية الى الصف الثامن • وتقدمت رابعة في غيبتي الى امتحان الكفاءة ••• وانها اليوم تنتظر النتيجة في شغف لعله لا يقل عن شغف سليمى في ترقبها اليوم الموعود •

ووحدني مع رابعة انتظارنا نتائج امتحانينا • واما سليمى ، فلم تشأ ان تظل في زمرتنا مترقبة يومها اكثر مما فعلت • فلقد فرغ صبرها ، فيما بدا ، مثلما اكتمل عنده قبلها فروغ الصبر ••• وكذلك اقبل الينا مختار ذات يوم ، ليصطحبها مسافرا واياها الى لبنان ، لقضاء « شهر العسل » ، دون حفلة زفاف •

هل أكشف عن حقيقة مشاعري في تلك الآونة من حياتي ؟

بت ، منذ ذلك اليوم ، احس في قلبي نارين تشتعلان : نار الانتظار ، فقد كان امتحاني ذاك الاول من نوعه ، واني لعلى خوف واشفاق مما سأحققه من فوز أو فشل ! ونار اخرى اشد لظى ، يريد المنطق أن يسكب عليها برده ونداه ، ولكن ريحا سموما ، او عاطفة غامضة ، ما تفتأ تؤجبها مع كر الغداة ومر العشي ! فلما مضى مختار بسليمى ، احسست بالعاطفة الغامضة تتضح ، فاذا هي غيرة غبية تهزني ، تهز كياني • نعم ، يا للخزي ويا للعجب ! انا احس **بالغيرة** تجاه اختي ، اجل ، لأنها سبقتني في زواج ، حين كان المأمول عندي ان اكون السابقة ! اني مدركة الغرابة في هذا الشعور ، ولكن كيف السبيل الى اخماده في قرارة وجداني ؟!

ناران تعذباني •••

ولكن نار الانتظار ما لبثت ان خبت يوم جاءنا العلم بأني في عداد الناجحين • ثم علمنا ان رابعة قد فازت هي الاخرى بالكفاءة ، فأبدت عزمها على أن تسلك سبيلي في اكمال التحصيل الجامعي •

واما نار الغيرة ، فقد سكت لهيبها مع الايام دون ان تخبو جذوتها التي ظلت في داخلي تمس شغافي فتزيدني شوقا الى سمير ، والى الارتماء في احضانه دون ما وازع – الآن – من خوف او حذر • وعندما بدا لي مخلص في الاثرة وهو يريد ان يحضني مودته ،

تراءى لي ألا احجم عن تقبلها والاعتراف مما يمنحني اياه من عطف او حب ... فقد انتابتني ، في ذلك الصيف ، احاسيس مجنونة لامس كفي سر جنونها ، دون ان أقدر على كتمانها أو معالجتها ... ولكن ، هل مخلص يفضل سمير في خصلة من الخصال ؟ ان سمير لخير الشباب طرا !

وأمضيت الصيف في فرحتي بالنجاح ، وفي غيرتي التي لم تخمد نارها . وبت اطمئن النفس ، فيما انا ادفع يوما من ايام حياتي بعد يوم : احب سمـــير ويحبني ، انّ ما بيننا اقوى وثاق ، اقوى من عقد زواج يوقعه موظف يدعى المأذون .

ولم تطفىء غليلي مقابلاتي العلنية لسمير . فما تجدي زيارة منه لي في الدائرة ؟ او ساعة من سويعات الاصيل تظلني واياه في شارع خلوي بعيد عن الضوضاء ؟ اريد ان يشدني الى صدره ، ان يحطم اضلاعي ، اشتاق الى شفتيه تزيدان التهابي ، اريد ان أغيب نظراتي — وانا هاجعة على صدره — في عينيه الزرقاوين ، فتغرق النظرات هناك في البحيرتين ، وتجذبني اليها غريقة مأخوذة مسحورة !

ويوم دعا الداعي الى سفري ... فماذا تراني فاعلة بهذه العواطف والاحلام ؟ هل بوسعي ان ارميها في الفضاء والسيارة تطوي بي طريق السفر الطويل ؟ هل امتنع عن موافقته في الامسيات الى ذلك الـــركن الحالم ؟ او الذهاب الى منزله الخلوي في نهاية المنعطف المورق ، حيث يعانق الصدر الصدر ؟

كانت اشواقي اقوى من كل رغبة معاكســة ارغبها او منطق رصين اتسلح به . فماذا يمكن — اذن — ان تثمر هذه الاشواق العارمة يحس بهـا شـابان في مقتبل العمر ، بعيدا عن كل رقابة سوى رقابـة الذات ، هذه الذات الغارقة في الحب حتى قمة الرأس ؟ فاذا اثمرت الاشواق خطيئة ، فذلك من بعض النتائج التي ينبغي ان تكون في الحسبان .

وخلال الايام القليلة التي تعين علي ان البث فيها بدمشق ، استجبت لدعوته وزرته في منزلـــه ذلك الخلوي المطل على قمم الاشجار الدانية . كنت اتمنى في قرارتي لو يطلب مني مطلبا فلا أتأبى عليه . وكنت وكنت انكر عليه — في الوقت ذاته — ان يلتمس عندي اي طلب من هذا القبيل ، وانكر على نفسي ايضا ان تستجيب ... والا ، فأين العفة ؟ واين الثقـة التي منحتها ؟ واي جديد من الامر اقبل عليه ؟ وما المصير ؟

كان قلبي ، وكنت ، كتلة من اللهفات الصغيرة المتحرقة . ووقفت ، تلك الساعة ، امام المرآة اتطلع الى ما وهبت من محاسن ومفـاتن : هي ذي قامتي الناهضة ، جيدي ، صدري ، خصري الضامر النحيل ...

الوجــه أراه مستديرا ، واللون حنطيا ، والعينــين كستنائيتين ، والشفتين ممتلئتين حمرة واكتنازا !

واقبل علي من خلف . غاصت نظراتي ، عبر المرآة ، في خميلتيه ، يعلوهما حاجبان كثيفان ، ويجلل هامته الشعر الاشقر . ومط نحوي شفتيه الرقيقتين : بد لي — هو أيضا — لهفة كبرى تريد لتحتوي لهفاتي الصغيرة ... وضمني اليه ... ألا ما اعذب الحب ، بعيدا عن أعين الرقباء !!

ودغدغ صوته اذني :

— هالة ..

— نعم !

— احبك ، يا هالة !

فهتفت من اعماقي :

— اني لك مدى العمر .

وجلسنا على الاريكة ، متلاصقين .

— عدني ، يا سمير ، ان تكون لي وحدي .

فنبست شفتاه :

— لن احمـل لساني على النطق ، ولكني سأدع عيني تمنحان وعدا ، ها هما تان : اقرئي ما سـطر الحب فيهما من صفحات شوق آ

ودنوت من الصفحات أتقرى أشواقها ، فلفحني منها حرها ، ولثمت العين فالعين الاخرى ... اني لاقرأ فيهما ألف وعد ، شلال وعود ! يا حبيبي سمير ، اطلب مني أعطك ما تتمنى ... انا بين يديك عبد طيع !

استسلمت ولم اقاوم . في داخلي عالم من الحب يروم انطلاقا . أنا امامك ، فاقطف من ثمراتك الجنية !

امتدت يده الى صدري متجارئة عابثة . فما أنكرت عليه جرأته . كنت ، في استسلامي ، مرتعشة القلب ازاء لهفته الصاخبة المعربدة . ومع هذا الشوق العارم واللهفــة والاستسلام ، هل تراه يبلغ فعـل الحب حدا يقف عنده ؟

لم استشعر الآن ، وانا بين يديه ، بوخز الندم ، ذلك ان الوجد ، الذى أهوى بسياطه على طوال الفترة التي مضت ، جعلني اكثر تجلدا واحتمالا . ثم ... كان ما كان ممـــا أذكره فأحس لذكراه ألما يفـري احشائي !!!

انا بنت ربيت في بيت ليس فيــه رجل يتسـم بالحزم ، ليس فيه أي رجل ! انا بنت عاشت في بيئة ضيقة الحدود ! انا بنت شربت تجربة الحرمان والالم حتى الثمالة ! نعم ، وقرأت كثيرا فتفتح وعيها على التمرد والتحرر والانطلاق ... فلما أحبت ، التهبت حبا ، ومنحت ذاتها في غير ضن ... وكذلك وجدتني أجترح بين يديه كرامة الانثى !!!

لم تجترح عذرتي ! انا لم أفقد كل شيء ، **ولكني**

فقدت معنى الطهر الذي تعتز به كل فتـــاة ! كيف اعتصمت بالصمت ، وهو ماض في عبثه ؟ ما ذاك الا لأن ألفا من اسباب الشوق والوجد كانت تمور في خافقي ، فتملي علي الرضا بما يفعل بي ! حتى اذا غدوت عـلى الحال التي ارادتها لي عواطفه الجامحة المسعورة ، فنهل مما أتحت له ان ينهل ، وبلغ من نشوته حد الشبع وبلغت ٠٠٠ انقلبت ، ههنا ، أبكي كطفلة ، طفلة ضيعت سوارها في زحمة الطريق ٠ طفقت ابكي هنيهة مـن وقت ، حتى عثرت الطفلة في اهابي على سوارها المضيع ! استردته سليما حقا ، ولكن كان قد ضاع فيها معنى الحفاظ على السوار ٠ لقد اجترح فيها ، بالاختصار ، حقها بالتحلي به ما دام قد فقد منها مرة !

كذلك احسست في تلك الساعة منايام عمري٠٠٠

هل سيلفظني قلب سمير ، بعد هذه الاستجابة التي أملاها علي حبي له ؟ لو اني عصيت عليـــه ، لأذكيت نار حبه ! لو كنت عصيت ٠٠٠

بكيت كثيرا على فقداني معنى الطهر بين يديه ٠ قلت ، وانا اشرق بدمعي ، في الغرفة ذاتها التي بكيت تحت سقفها يوما :

– لا بد انك ستحقرني بعد هذا اليوم التاعس ، يا سمير !

فقبل عيني :

– بل اخشىان تشعري انت نحوي بهذا الشعور ٠ فاني أنا الفاعل الآثم ! (وصمت) اغفري لي صنيعي ، يا هالة يا حبيبتي ٠ فانما هو الحب الذي قادني اليه ٠ انك ، يا هالة ، كل من احب في دنياي ٠ عهد اقطعه لك في هذه اللحظة ، واجدده كلما تشائين : انت حبي الوحيد ، لقد اجتمعت فيك كل الخصال التي ارجوها في شريكة عمري ٠ فلا تحسبي ان هذه الساعة مزرية بحبنا ٠ انها مما يزيد ما بيننا وثوقا ورسوخا ٠ لست أقيم لغير هذه المعاني وزنا !

حلب — فاضل السباعي

أحلام اللاجئين

شعر : ياسين الفرجاني

خيام كأيامهم قاحلة ... تناثرن في بقعة ذاهلة ..؟

وداء يمزق أكبادهم ... وينشب أظفاره القاتله ..؟

ففي كل ساع له زورة ... وفي كل يوم له غائله ..؟

ويرتسم البؤس في صفرة ... رهيبا على الاوجه الذابله ..؟

اذا الشمس ذات السنى أشرقت ... تبدت على افقهم حائله ..؟

* * *

هنالك حيث يحوك الحمام ... شباكا وينصبها في الخيام ..!؟

صغار ، على العدم أجفانهم ... تفيق وليلا عليه تنام ..!؟

حفاة وبالامس كانت لهم ... نعال تقيهم أذاة الرغام ..!؟

عراة وبالامس كانت لهم ... ثياب ترد غواشي السقام ..!؟

جياع وبالامس كانت لهم ... موائد تحوي شهي الطعام ..!؟

* * *

ولامست الشمس قوس الضحاء ... ولم تلمس الياس كف الرجاء ..!؟

وراحت عيون شجاها الطوى ... تلمس منه قليل العطاء ..!؟

وزاغت ففور في غصة ... ومیض حبيب وغاب الصفاء ..؟

وحدق في الافق ، في كرمه ... وفي كل عرق تفور الدماء ..؟

أيمنع عنه وأطفاله ... جياع ، ألا أين عدل السماء ..!؟

وهـم بشيء وفـي نفسـه — مضاء يذلل من يأسه ٠٠؟
وغـامت بعينيه بيض الرؤى — وضـاق الوجود على حدسه ٠٠؟
ولـوح للمـوت في قبضة — حـديد هي الموت في بأسه ٠٠؟
ويمم وجهـا الى « حـدهم » — ليقتلع « الحد » من أسسه ٠٠؟
فليست ـ وقد هم ـ مـن قوة — على الارض تقصيه عن غرسه ٠٠؟

★ ★ ★

وأجفـل لمـا رأى داليـه — تدلت عنا قيدها الحاليه ٠٠؟
تـراءت لـه زوجـه عندهـا — وأفراح أيامـه الخاليـه ٠٠!؟
وأطبـق جفنيـه ثـم انثنـى — يقبـل أغصانها العاليـه ٠٠؟
ويسكب دمعـا عـلى تربـة — طهـور هي المسك والغاليه ٠٠؟
حنـانيك لم نسـل يا أرضنا — وما أنت يا أرض بالساليـه ٠٠!؟

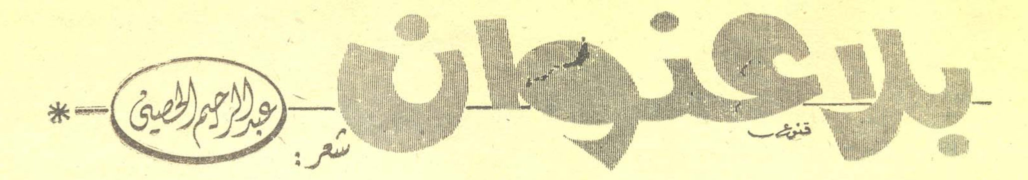
★ ★ ★

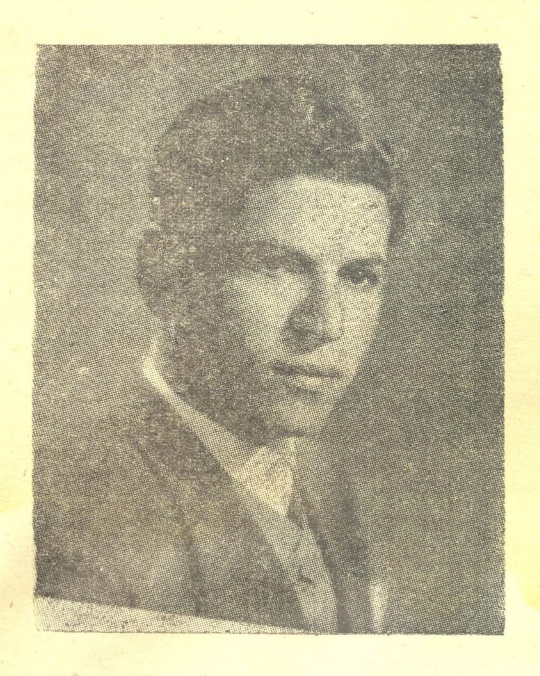
وكان « غريب » وراء الشجر — لئيم يشاهد قطف الثمـر ٠٠!؟
أطل على « الصيد » مـن مكمن — وراح يتابعـه بالنظـر ٠٠!؟
« وألقم » حتى اذا « صـيده » — تولى رمى « صيده » في الظهر ٠٠٠
جبان ، هو الغـدر في عينـه — حقود ، هـو الظلم يا للقدر ٠٠؟
فمـن يسرق الارض تضحى لـه — ومن يملك الارض لص أشر ٠٠!؟

★ ★ ★

ودوى الرصـاص فشق السكون — وهب الى المصدر « اللاجئون » ٠٠!؟
دقائق مـرت ثقـال الخطـا — واذ هـم بجسمانه يرجعون ٠٠!؟
ومـن بين كفيه ما قـد جنى — يساقط فوق التراب الحنون ٠٠٠
واطفـاله الـزغب يا حسـرة — على الارض في لهفة ينحنون ٠٠!؟
يلمـونه حبـة حبـة — وفي نهم جـائع يأكلـون ٠٠!؟

ياسين فرجاني



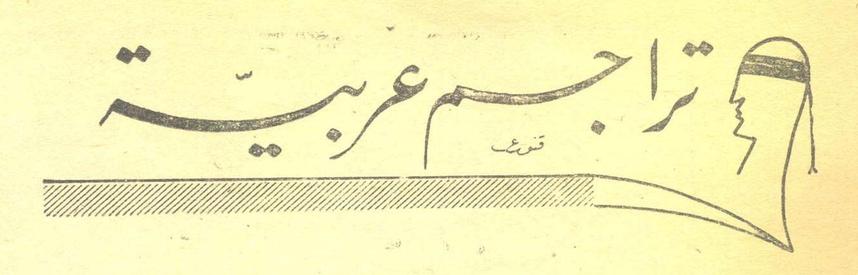




شعر : عبد الرحيم الحصني

أمن عطش العينين للروض والنهر   تغنيت بالنسرين والكرم والزهر
وهل دوحة الاطيار فاح أريجها   فأشجتك تلك الريح من حيث لاتدري
بأنغامك الآفاق تملأ سمعها   وترشق من نجواك صافية الخمر
فيالك من عود يئن فترتمي   لآهاته الاوتار من مبسم القمري
ورب نبي لم ينل بعد هديه   سوى الجور واللاهون في وهدة الكفر
فلا تسأليني يا أمية ما الذي   دعاني لكشف النمنمات عن الدهر
بخنصره ما كدت أعقد خنصري   على الحب الا واستفقت على الغدر
بقلبي منه يا أمية غصة   دفنت بها الآلام في متعب الصدر
غفرت لحسادي الملام لأنني   أبيح لغافي القلب ٠ شيئا من العذر
لعينيك ما أخفى الحنين وما روى   لأنت رفاه اليسر من قسوة العسر
وهبتك دنيا الله قلبا ملونا   يلف اخضرار الحب بالادمع الحمر
تجول ببال الورد منك خواطر   تحل محل العطر في غيبة العطر
أمالكتي لولاك لم أعرف الهوى   ولا بحت للانسام بالحالم النضر
أذبت على حب الجمال لواهبا   واهديت كل القلب للأعين الخضر
وطال سجودي للشفاه وريها   وسبحت باسم الله والخصل الشقر
وهذا الذي تصغين عند سماعه   وتلقين فيه المعجزات من السحر
رسائل أجفان قرأت سطورها   حنانا ٠٠وأهل العلم٠٠ سموه بالشعر

حمص ـ عبد الرحيم الحصني





ـ شاعر الارز وصناجة العرب في العصر الحديث ـ

اذا كان الشعر العربي ، أركانه نخوة وحماسة واقدام ، وكيانه ، عزم وصلابة واندفاع ، فشاعرنا الملاط جمع في شعره الاركان والكيان ، فكان والحق يقال ، شاعر الارز لا يجاريه شاعر ولا ينازعه اللقب أديب ناثر ، ذلك لان في شعره رقة وعذوبة ، وفي قوافيه قوة ورجولة .

ولد الملاط عام ـ **١٨٧٨** ـ في مدينة بعبدا بلبنان ، وما أن شب وترعرع حتى دخل المدرسة الابتدائية في مدينة جبيل أقام فيها سنة واحدة ثم انتقل منها الى مدرسة الحكمة في بيروت ، وفيها قرأ المعاني والبيان والعروض على الشيخ عبد الله البستاني وكان ينظم ـ أول ما بدأ النظم ـ معتمدا على اذنه الموسيقية وذلك قبل معرفته العروض ، ومن أوائل نظمه قوله :

زارني طيف غزال حذر
سلب الروح بطرف أحور
وتوارى نظري غائبا عن نظري
تاركا بين رفاقي خبري
آه لو يدري بحالي قمري

وما أن حاز شاعرنا نصيبا من العلم حتى انصرف بكليته الى تحرير جريدة الوطن التي نال امتيازها عام ـ **١٩٠٨** ـ وعندما بلغ العقد الثاني ، كانت جولته الاولى في ميدان العاطفة ، وفيها جرت على لسانه لغة القلب فنظم عدة مقطوعات كانت من عذوبتها تجري على كل لسان ويحفظها كل شاب وفتاة . وتقلد الملاط عدة مناصب حكومية ، وأخذ يجاهد ويكافح في سبيل لبنان والعروبة ، وله في كل حادثة قصيدة وفي كل مجلس مكان ، الى ن انتقل الى السماء عام ـ **١٩٦٠** ـ فسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيا .

وقد قيل ان شاعر الارز شبلي الملاط كان خير ممثل للوجه اللبناني الاصيل ، المتمسك بتقاليد الجبل والمتفتح على التراث العربي الرحب ، والملاط شاعر بكل ما في كلمة الشعر والشعور من معنى ، لغة واصطلاحا وبكل ما وراء اللغة والاصطلاح من مزايا الشاعر العربي البدوي الجاهلي ، في عبقريته وصفائه ، وفصاحته وصراحته ، واعتزازه وزهوه ، وخيلائه ورقته وحماسته وعتابه ، لكنه الشاعر المخضرم بمدائحه ومراثيه ومناسباته ، والشاعر المتجدد بتنوع موضوعاته بين القصص والتاريخ في ملاحمه وتمثيلياته التي تفيض كلها باكرم وأشرف ما عرفته عن شبلي الملاط وهو حبه العرب وكل ما صدر عن العرب من رسالة وايمان وعدل وشمم واباء وكرم ، ولنصغ الى شاعرنا في صميم لبنانيته يقول :

لبنان معنى وما الدنيا وما جمعت
حسنا سوى الجزء عندي من معانيه

ولنسمعه يقول وملء اهابه الفخر والأعتزاز :

مالي أشبب والنسيب ينم عن
ضعف وليس الضعف من أخلاقي
أنا فلذة صخرية مقطوعة
من ذلك الجبل الاشم الراقي
أنا جذع لبنان القديم فما ذوى
ورقي ولا لوت الشدائد ساقي

وهو على شدته في لبنانيته لا نراه يتنكر لعروبته ، ولم يكن يجد بين لبنانيته ومسيحيته وعروبته ، بل وفي الجمع بين ذلك كله ولا في الجمع بين اللبنانية والاسلام والعروبة أي تعارض مع طبيعته الوطنية ولهذا نراه يقول في عيد المولد النبوي الشريف :

لمن البلاد أليس من أصحابها
انتم ونحن ؟ فما لنا لانهتدي
حتى متى لا نستفيق وكلنا
نحيا وندفن تحت جو واحد
حتى متى التفريق يلعب دوره
فينا ونصغي سامعين لمفسد
فدعوا التعصب انه الداء الذي
يقضي عليكم بالهوان السرمدي
وابقوا على هذي العواطف وليكن
كل من الاعياد عيد المولد

ونراه يقول في قصيدة اخرى :

نحن عرب بدين تغلب دنا
وسكنا لبنان دهرا فدهرا
نحفظ الضاد والضيافة والعر
ض ونبني بالسيف مجدا وفخرا

اذن فشبلي الملاط يحارب التعصب الذميم ، ويكره التحجر في العقول ، والقسوة في القلوب ، ويدعو الى الوئام والسلام بين ابناء الشعب الواحد في الوطن الواحد ، يدعو الى ذلك باخلاص وقوة ذلك لأنه أنوف يكره الذل والهوان ، والاديان انما جاءت لتكرم الانسان ، ولتجعله أخا للانسان ، وما كانت الاديان ولن تكون سببا في التناحر وسبيلا للتخاصم :

الدين مصباح الهدى ومناره
والعلم ريحان الوجود وغاره
زين المفارق تاج كل منهما
ومنى العيون بهاؤه ووقاره
روحية بعظاتهم آصاله
قدسية بصلابتهم أسحاره

وبين الحياة المادية والحياة المعنوية ، راح الشاعر يشق طريقه الى المجد والخلود ، ولو تصفحنا حياته في مطلع ديوانه ، وتتبعنا مراحل عمره لرأيناها جليلة موفقة ، وهكذا تجب أن تكون حياة الملهمين الموهوبين الذين يندر عددهم على هذه الارض ، وشاعرنا تقلب ، كما قلت ، في مناصب كثيرة في الحكومة ، وخاض معارك سياسية ، ومثل لبنان في ميادين أدبية ، فكان له السبق في كلها ومع ذلك فقد بقي شعوره حيا ، وبقيت عاطفته رقيقة ، لم تغيره الشهرة الواسعة ، ولا بدلته الالقاب الكبيرة ، ولهذه الاخلاق السامية استطاع الملاط أن ينال اعجاب الجميع وحب الجميع •

* * *

وقد كتب أمير البيان شكيب أرسلان يقول في شعر الملاط وفي **الملاط :**

(شعر الاخ الاستاذ شبلي الملاط لا يمكن وصفه بأحسن من عرضه ، ولا نعته بخير من الحث على حفظه ، فانه لا يبلغ الواصف منه معشار ما يبلغ هو من نفسه ، فهو الشعر الذي يصح أن يقال فيه : عينه فراره ، وسره استظهاره ، وتعريفه تبليغه ، وتحليته تسويفه ، وروايته رواؤه ، ونعته جلاؤه ، والاجادة به نفس انشاده ، والترنم بمدحه مجرد ايراده ، فهما نبهت على محاسنه كان تنبيهه على نفسه أبلغ وأسرع ، ومهما أقمت عليه من البراهين كان برهانه في ذاته أظهر وأسطع ، انه لعمري هذا النسق السهل الممتنع ، الداني المرتفع ، القريب البعيد ، المعتصم بقنن الامتناع وهو أقرب من حبل الوريد ، وانه هو النوع المرقص المطرب المعرب عما في نفسك بأحسن ما [illegible]يد أن تعرب ، لا تكلف ولا تعسف ولا تصنع ولا تنطع ، ولا تزيد ولا تعمل ، بل

الجمال الذي لا يحتاج الى تجمل ، وهي الالفاظ على أقدار المعاني لا تزيد ولا تنقص ، والاثواب على نسبة القدود فلا تطول ولا تقصر ، وهي القوافي لا تجد منها قافية الا معروفة قبل الوصول اليها ، وترى البيت كله منصبا عليها ، مصدقا لما خلفها وما بين يديها) .

وهذه الشهادة من أمير البيان تكفي لجعل المغمور مشهورا ، والصعلوك أميرا ، فكيف بها اذا كانت بحق شاعر مبدع كشبلي الملاط ؟...

وقد كان الملاط ساحرا في القائه ، فالمنبر ملك له ، وخشبته عرشه الرفيع ، وقد يكون هنالك من يضاهي الملاط شاعرية وبلاغة ، انما فوق المنبر فهو الفارس الذي لا يشق له غبار والذي لا يجارى في مضمار .

★

وأعود لاقول ، ان الملاط شاعر أعطى العروبة كل ما يملك ، ذلك لانه أحبها حب قديس لربه ولا عجب في ذلك فهو ابن لبنان ابن الجبل ابن الارز . فها هو يقول في ذكرى موقعة اليرموك :

سلي اليرموك عنا يوم كنا
نهز بطاح سينا والهضابا
وقفنا أربعا بازاء عشر
ندق الهام منهم والرقابا
تفرقهم أسنتنا طعانا
تبددهم صوارمنا ضرابا

وقد يبدو أي تعليق على مثل هذا الشعر المخلص تافها . وها هو يخاطب شباب دمشق فيقول :

ايه شباب دمشق انا معشر
متلهف أبدا على جيرانه
متهلل للجار في أفراحه ...
متوجع للجار في أحزانه
فمصيركم كمصيره وكيانكم
لو تعلمون معلق بكيانه

★

ولا بد لنا من أن نتحدث باسهاب عن النزعة الرومانطيقية التي تغلب على شعره ، فيقول الاستاذ عبد اللطيف شراره : (نشأ شبلي الملاط في عصر كانت السيادة فيه للمدرسة الرومانطيقية ، فاذا علمنا أنه تأثر اكثر ما تأثر بالادب الافرنسي في ذلك الزمن ، وان فيكتور هوغو ولامرتين والفرد ده موسيه ومن اليهم من رومانطيقي فرنسا ، كانوا يملأون الدنيا ، ويشغلون الناس ، لم نعجب ان تطغى على شبلي تلك النزعة الرومانطيقية ، وتصرفه نحو الازهار والاشجار والدموع والابتسامات وليالي القمر وجمالات الطبيعة وألحان الغابة وتهاويل الحب ، وعذاب الحب فما من قصيدة من قصائده أيا كان موضوعها الا وتعبق منها رائحة الرومانطيقية الاصيلة .

ولم يكن تأثره بالادب الفرنسي وحده هو الذي يجعله رومانطيقيا ، بل ان في لبنان وحده ما يجعل كل امرىء ينزع هذا المنزع ، ان في جمال طبيعته ، وان في ايحاءاته الفكرية والنفسية . وهكذا كان شبلي على عتبة النهضة الادبية الحديثة عامل تجديد ورسول أخلاق وخازن قيم ، وباعث حس وطني وقومي ، وكان الذين ولجوا النهضة من بعده يسيرون الى حد بعيد على آثاره ويهتدون بهديه) .

★

بعد هذه النظرة المجردة الى شعر الملاط ، لا بد لنا أن نأتي على ذكر بعض من قصائده التي حازت شهرة واسعة ، ونالت اعجاب أدباء عصره ، فحفظها الناشئة ، وقرظها الادباء والنقاد ، ومن هذه القصائد ، القصيدة التي قالها في وصف (بعبدا) المدينة الجميلة التي أنجبت شبلي فأخلص لها ، فتكاد لا تخلو قصيدة من قصائده ، الا وفيها ذكر (بعبدا) ولنصغ اليه يقول :

... وسائلة وقد رأت اعتزالي
وتفضيلي مجاورة الكهوف
أتصدف عن مجالس ساحرات
بكل محدث لسن ثقيف
وتخشى بأس احداق العذارى
وما يرهفن من ماضي السيوف
وتهجر عهد ظرفك في مغان
أواهل باللطيفة واللطيف

وكنت اذا حضرت وقلت شعرا
تمنته الحسان من الشنوف
فقلت لها ذريني في مكان
نزلت به على الخدن الالوف
وغاب عن ضجيج الخلق ناء
صحبت به على ثقة أليفي
على الوادي الظليل جعلت بيتي
وتحت النخل أعجبني مصيفي

وأبدع الملاط في الشعر القصصي ، وقد استمد اكثر شعره القصصي من حوادث التاريخ العربي أو من معرض الحياة حوله ، ورمى فيها الى العبرة الاجتماعية ، ولست أرى خيرا من أن أقف وقفة خاصة عند احدى القصصيات الشعرية ، التي حفظتها من شعر الملاط ، وقد روى فيها قصة امرأة الوليد بن عبد الملك بن مروان والشاعر وضاح اليمن ، غير أنه آثر أن يجعل معاوية بن ابي سفيان في موضع الوليد وفتى يقال له عامر في موضع وضاح اليمن ، فنراه يقول بلسان عامر يخاطب فتاته :

رويدا واصبري حتى يلينا
فؤاد أبيك يا أم البنينا
لئن سعد الفتى في الحب حينا
فكم شقي الفتى في الحب حينا
اذا جمعت حبيبين العهود
فما واش يفوز ولا حسود
ونحن كما علمت لنا وعود
بأنا لن نحول ولن نخونا

وتجيبه الفتاة قائلة :

أعامر لم اكن لهواك الا
على النهج السوي فلم أضلا
عرفتك منذ كنت وكنت طفلا
أبيا في مهزته رصينا
وان يك والدي بالمال يطمع
ولم يك من علاج فيه ينجع
فلست أنا بغير هواك أطمع
ويفعل ما اراد الله فينا

ثم ينتقل الموقف الى الفتاة وهي تناشد أباها ان لا يدفع بها الى الوزير فيحملها زوجة للخليفة في الشام :

أبي عطفا على قلبي الكسير
ودع عني الزفاف الى الامير
فليس مقام مثلي في القصور
مقاما يسعد القلب الحزينا
أأترك مضربي وأعاف أهلي
وأهجر ملعبي وشميم حقلي
وأحرم ناظري جملي وسخلي
لكي يرضى أمير المؤمنينا
أتدفع بي الى سجن مخيف
وتحبسني لدى قصر منيف
فما نفع الملونة السقوف
اذا كانت بناظري سجونا

ولا أريد أن أثبت هنا كل القصيدة ، خوف الخروج عن الموضوع ، ولكن أستطيع أن أقرر ان شبلي الملاط قد أبدع في قصصياته الشعرية ، وفيها يتلى التعمق والعنف في تصوير ثورة النفس ولا يستطيع أن يلج في هذا الضرب من الشعر الا من كان موهوبا عبقريا ، متمكنا من اللغة ، واسع الاطلاع والثقافة .

★

وعندما ندرس شعر شبلي الملاط يجب علينا أن ندرس أول ما ندرس قصيدته الرائعة (فم الميزاب) التي أنشدها في مهرجان شوقي عام — ١٩٢٧ — والتي تعد بحق من أعظم ما نظم في عصرنا الحاضر ، ففيها عمق التصوير ، وصدق العاطفة ، وقوة القافية ، وسلاسة اللفظ ، وانسجام المعنى ، وجمال المبنى ، فيها كل ما يطرب القلب ، وينعش النفس ، ما قرأها أديب الا وحفظها وما أنشدها شاعر الا وعارضها . واليك منها بعض أبياتها :

ردت علي مطامحي وشبابي
ذكرى الصبا وملاعب الاحباب

أيام تغدو في مرابعها الظبا
وتروح أسربا الى أسراب

ياشاعر الشرق المملق نظرة
فلقد بعثت الى سماك خطابي

لك في النجوم وفي البسيطة دولة
يا ليتني فيها من الحجاب

لنزلت مصرا والحجاز مكرما
وحللت بغدادا على ترحاب

وحملت من لبنان ارواح الصبا
ريا النسيم بعنبر وملاب

والشعر ما حفظ الرواة لشاعر
أوحت اليه هياكل الارباب

فترسل في نسجه مترصن
طلق القوافي راصد وثاب

متدافع كالسيل فيه موقع
وتر الشواعر دامغ جذاب

أثر الطيوب روائحا وغواديا
من شعر شوقي في فم الميزاب

بز الاوائل جدة ومعانيا
ومشى برونقه على الاتراب

جابت قصائده البلاد شواردا
وأوابدا من ناهد وكعاب

★

والصورة في شعر الملاط بارزة الخطوط ، واضحة المعالم ، وبذلك تعبر عن القوة والضخامة ، وعندما قال أرسطو ان الشاعر يتصرف بالواقع ليختلق الجمال فكأنه كان يعني الشعراء كلهم ما عدا الملاط لان الملاط كان يجد الجمال اينما نظر فيصفه ، وما كان يختلق الجمال أبدا ، ودليلي على ذلك احدى لوحاته الرائعة الكثيرة :

حنفوا عليه في الحياة وحوالوا
اذلال ذي شمم وذي استقلال

كالنسر قد عرضوا له في جوه
ورموه وهو محلق بنبال

فتناولوه بريشة وبقطرة
حمراء وهو يطير غير مبال

أو ذلك الجبل الذي تركوا به
ثغرا غداة تناجز ونضال

ولدن جلوا عنه تولت سده
كف السحاب بجندل ورمال

فالنسر ظل محلقا والطود لم
ينفك رب مناعة وتعالي

★

ولا أجمل من أن أختم دراستي هذه للملاط وشعره من اثبات رأى فقيد الادب والنقد الاستاذ مارون عبود حيث يقول :

ان شعر الملاط أشبه بحقل من الزهور المختلفة ، الوردة حد القديسة ، والاقحوان حد بخور مريم وشقائق النعمان بين الاعشاب المختلفة ، والوزان بجوار القندول ولكليهما زهر وعطر وجمال انك لتظفر من كل قصيدة من قصائده الطوال ــ وهي كثيرة ــ بما يظفر به المؤمن من الحقل يوم الجمعة العظيمة فيعود حاملا الى يسوع عريس الاحلام والآلام اضمامة زهر طريفة واكليل شوك اذا شاء • وشعر شبلي قليل الظلال كثير الانوار ، ترتاح العين حين تقع على صوره ، فاذا أردت مثلا للشعر المطبوع في هذا الزمان فاقرأ شعر شبلي • ليس شبلي من الشعراء المحككين المتصنعين فبنات أفكاره لا يعرفن التجمل فهن أشبه بظباء فلاة المتنبي •

محمد ثابت ابو دان ــ حلب



سكن مرة حمار حكيم في قسم موحش من ارض مهجورة على بعد بضعة اميال من القرية ٠

لم يكن الحمار يدين بطاعة أحد ٠٠ لاي مخلوق ٠ فقد تخلص من العبودية وهو لم يزل جحشا صغيرا ، حتى انه لم يعد يتذكر حادث هروبه ، اذ انه عندما ترك صاحبته السيدة كلوتو ، قافزا فوق خندق صغير ، اراد ان يترك العالم ويعيش في عزلة ٠ ولكن رغبته الحكيمة هذه ذهبت في طي النسيان ، لان ذاكرته لم تعد تقوى على التذكر الا يوم ان وجد نفسه وهو يرتع في الارض المهجورة ، يقضم قبضة من الشوك هنا ، وقبضة اخرى من الشوك هناك ، ظانا نفسه انه وجد من العدم ٠

ففي هذه البقعة التي تغطي مساحة كبيرة من الارض ، حيث تنبت الحشائش الخضراء والعليق ، وحيث تبتلع الزهور البرية الذباب الصغير تطن الهوام في الجو في حميا عشقها ، كان يظهر حصاد اعشاب منفرد بين آن وآن ٠

وفي اثناء تجواله المتقطع على غير هدى ، وجد الحمار نفسه مرة في بستان مهجور كان يسكن فيه من قديم الزمان ناسك متقشف ورع ٠

وكان حول البستان سياج شائك ، او بالاحرى ضفة مرتفعة من الجذور الجافة اقيمت حول ارض تقرب الفدان من الحشيش الشهي ، بينما تركت فتحة للدخول من بوابة قديمة متهدمة ٠

وكان في وسط هذه الرقعة كوخ متداع من الطين ولكنه كان يصلح لاعطاء الحمار مأوى ضد الرياح الغربية الآتية من اتجاه البحر ٠ التي طالما هبت بشدة وغضب فوق الغابة ٠

وكان الحمار الذي انتقى بقعة كهذه ليسكن فيها ذا عقل متواضع ، لم يزعج نفسه طوال حياته باية كبرياء او رغبة جامحة ٠ لقد كان هادئا ومسالما في طباعه ، مطيعا منقادا ، لا تعرف افكاره الاذية ، خال من اية رغبة في العالم سوى قوته الضروري ٠ ولما لم يسمع ابدا ما يناقض تصوراته ، ظن نفسه انه الحيوان الوحيد الذي يعيش في هذا العالم ٠ فاذا ظهر شبح في الغابة ، من بقرة وحيدة او حصاد اعشاب منفرد ، ظنهما الحمار شجرة عليق غريبة دفعتها الرياح العاتية الى تلك الانحاء ٠

لم يكن الحمار بحاجة لأي صديق ، لانه كان راضيا عن نفسه كل الرضى ؛ كان يعيش بتقشف ، يدور هنا وهناك بدون فكر على الاطلاق ، ولم يخطر في باله ابدا ان يكون اكثر مما هو - حمار وكفى ! اما الوقت فلم يكن لديه اي معنى أو وجود ، ولو قدر له ان يعيش الف عام لانقضت عليه كيوم واحد ٠

كان يطرح نفسه طوال الليل على فراش ناعم من الخنشار كان الناسك قد تركه في منعزل بجانب حائط الكوخ المتهدم ٠

وشعر الحمار هناك براحة وأمان وهو يتمتع باعظم مناعة سماوية ٠ وعندما كان يأتي الصباح كان يتقلب ويتمطى ثم ينهض ٠ واذا كان الوقت صيفا والذباب يحوم حوله كان يضرب ذنبه القصير في الهواء ثم يذهب الى حيث الحشيش والقرطحان في كثرة ٠

لم يكن للحمار صوت ؛ ولم يكن يعرف الخير والشر - لان هاتين الصفتين كانتا ممزوجتين به لدرجة ان صارتا بحكم قانون التوازن واحدة غير متباينة ٠ فلم يظهر ثمة شيء يعكر صفو او قناعة هذا المخلوق الطيب الذي كان ، وايم الحق ، يجب ان يسمى «الحمار العديم الرغبات ٠ »

اما الناسك الذي عاش في البستان قبل الحمار فلم يترك وراءه اي تاريخ عن اعماله ٠ ولم يعرف سكان القرية - التي تبعد ثلاثة اميال - اي شيء عنه ، حتى ان بعضهم شك فيما اذا عاش هناك اي ناسك على الاطلاق ٠ فان كان قد عاش حقا ، فانه لم يسبب اثناء المدة التي قضاها اية فضيحة تعطيه الحق في ان يمكث ، ولو في حيز ضيق ، من ذاكرة انسان ٠ فهو لم يلقي وعظة واحدة من على منبر الكنيسة - فلو فعل ذلك لاستدعى على الاقل انتباه شخص واحد - وكذلك فانه لم يتسلل ابدا الى القرية اثناء الليل ليحظى بمشاهدة غادة عذراء في ضوء القمر ٠ وبما انه كان رجلا طيبا ، لم يكن احد في حاجة لان يتذكره ، حتى ان اكثر الناس قالوا ان الحمار كان اول من سكن البستان المهجور ٠ ولكن سواء ، اعاش هناك ناسك ام لم يعش فقد حصل الحمار على كل ما كان يشتهيه ٠

كانت افكاره الوادعة المنعزلة تدور دوما على محور واحد داخل هامته ، وكانت الفصول تمر به مرور ظل السحاب ، مازجة الدقائق والساعات الهنيئة بسعادة لا

توصف . أما جلده فقد كان ثخينا لدرجة انه ما كانت لتؤثر فيه عواصف الشتاء ولا ذباب الصف اقل تأثير ؛ وكانت اشارته لكلتا الحالتين - هزة من الذنب - سواء لثلج كانون او لبعوض شهر آب .

أفي مقدور احد ان يتصور حياة اكثر سعادة من حياة هذا الحمار المسكين ! كان العلف لديه كثيرا ، ولم يكن هناك ثمة شيء يزعجه او يؤلمه ، ولم يكن لديه اي عمل ليعمل . كان عائشا ، على ما يبدو ، الى الابد ، لان الزمان لم يكن له وجود عنده .

وكان مقدرا له ان يعيش هكذا ، كل يوم كسابقه ، لولا ان الحظ العاثر نفص عليه هدوءه الابدي ... اذ بينما كان يرتع في سعادته وسط هذا المكان الخصيب ، قدمت ارنبة الى احدى الممرات المؤدية للقرية وسكنت فيها .. وكانت حبلى ، ولكنها كانت منزعجة من نمس نهم حل بجوارها . كان قد اكتشف جحرها فأخذ ينتظر الساعة الملائمة حتى تلد فيبتلع العائلة بأكملها .

خافت الارنبة ، الام الحنون ، على مصيرها ومصير اولادها فصممت على الهرب ورحلت في ليلة قمراء وسط الغابة . وكانت طيلة الوقت تندب حظها وهي سائرة ، لان مجرى السيل الذي عاشت فيه قرب القرية كان ملائما لها . فبنت عشا جميلا هناك ، وكان الحشيش في الحقل المجاور لها خصيبا كأحسن ما تشتهيه ارنبة . وكان صاحب الحقل رجلا دمثا لا يقتني اية بندقية .

وبينما هي مجدة في سيرها ، وكانت تعلم ان الفجر ما زال بعيدا ، وصلت الارنبة قصر الحمار المنعزل وهي تعبة منهوكة .

اشتغلت الارنبة في كل ما تبقى من الليل حتى الفجر بحفر جحر وسط السيل الرملي ، سيل ذكرها بموطنها القديم .

وكان من حسن حظها انها بينما وهي مجدة في عملها أن قدمت لها افعى كانت تسكن في ذلك السيل النصيحة كيف تحفر الارض وتتجنب جذور النباتات الغليظة القاسية .

وما ان بزغ الفجر حتى كان العش جاهزا ومليئا بالفراخ .

وبينما كان الحمار يرتع بعد بضعة ايام بقناعة وفلسفة ، متأملا مفكرا انه لولا وجوده هناك لما وجدت الغابة على الاطلاق ، ان خرجت الارنبة من جحرها وخاطبت الحمار هكذا :

سيدي ، يا مالك السماء والارض ، ايها المخلوق الابدي ، أفلا تجد في حياتك الملأى بالفراغ الدائم والقناعة مللا قليلا ؟ واني ارجو ان لا تعجب من رؤيتي ، لانني لست انا هنا الا لانك ولدتني بفكرة وانت تقضم ضمة من الشوك . ولربما نسيت تماما انك فكرت بي من قبل ابدا ، مع انه لا تولد فكرة من افكارك دون ان تولد الثمرة - السماء هي ملكك والارض كذلك . انظر الى خليقتك ؛ فهذا البستان الخصيب ، والمشهد العظيم الواقع وراءه هولك ايضا ؛ انك تخلق الحباحب اثناء الليل وتطيره في السماء ؛ انت يا من خلقت الافعى الهزيلة ، وبدونك لما وجد شيء مما هو موجود .

وفي الوقت الذي وصلت فيه الى ممتلكاتك ، عرفتك كخالقي ، واردت ان اقدم لك فروض الطاعة والعبادة على شتى انواع التراتيل والانغام ، وما انا بسائلة منك مقابل ذلك سوى السماح لي ولعائلتي ان نقضم قليلا من العشب في هذا البستان . واني اعدك وعائلتي ان نقدم لك خدماتنا الى الابد ، ونعاهدك أن لا نمس ابدا الشوك والقرطمان الخاص بك .

ونقسم بحق جلدك المقدس واذنيك الطويلتين ان نعبدك الى الابد .

فصدق الحمار ، الذي لم يسمع في حياته من قبل كلمات حلوة كهذه ، حكاية الارنبة ، وظن نفسه انه فعلا خلقها لكي تعبده . فأجابها بلطف ، واشار عليها ان تنمو وتتكاثر لكي ترن الصلوات والكلمات المعسولة في اذنيه الى الابد .

فسجدت الارنبة ، الام الحنون ، وشكرت سيدها وعادت الى عشها ترضع صغارها الذين كانت الافعى قد ابتلعت واحدا منهم اثناء غيابها .

شعر الحمار لاول مرة بمرور الزمن منذ ان عاش في العزلة . فالقناعة الابدية التي عاش عليها مجترا تغيرت تماما ، وظهر له في كل يوم من ايام الاسبوع الاول من حدوث هذا التغيير شيئا جديدا ظن نفسه انه قد خلقه من قبل . ولم يعد يظهر له حصاد الاعشاب الذي كان يبدو كخيال من بعيد كعليقة بسيطة ، بل اعتقد انه قد خلقه في حلم ، واعتقد كذلك ، عندما رأى بضعة من الجحاش ، انه فكر بهم ايضا من قبل .

ليس هنالك حالة اكثر حزنا من حالة هذا الحمار المسكين وهو واقع في شرك الكبرياء . وبدلا من ان ينام طوال الليل بقناعة على فراش الخنشار الناعم بجانب حائط الكوخ ، اخذ يفكر في عظمته وفي الكلمات الرقيقة التي سمعها من الارنبة . اخذ يفكر الان كم كان وحيدا في عزلته ، وامتدح نفسه لانه خلق جميع الكائنات وهو في حلم . واحتقر كل ايام حياته الهادئة معتقدا انها ذهبت سدى لانه لم يكن في اثنائها من يعبده .

لم تمض ايام طويلة حتى فطمت الارنبة اولادها، ولكن قبل ان يتركوا عشهم ليقتاتوا وحدهم ، علمتهم امهم بمشقة زائدة صلاة خصوصية ليقدموها للحمار شاكرين اياه على قوتهم اليومي من الحشيش ٠

وسرعان ما تعود الحمار الاحمق كيف يمد أذنيه الطويلتين لكي يستمع الى دعوات الارانب الصغيرة ٠

كانوا كلهم يجلسون امامه في صف طويل واذنابهم القصيرة البيضاء وراءهم ، ومخالبهم الامامية مرتفعة في الهواء ، وكان لسجودهم جمال فائق وهم يلفظون آخر كلمة من صلواتهم قائلين آمين ٠

وكانت الام تنظر الى صغارها مغبوطة ، لقد كانوا سعداء في صلواتهم مثلما كان الحمار سعيدا في الاستماع اليهم ٠

وفي الحق كانت الارانب الصغيرة ترى في عملية السجود الى مخلوق كبير كهذا ملهاة وتسلية ، بينما كان الحمار يشعر بكبرياء حيوان احمق بسيط وهو يعبد ويحترم ٠

نما حب الصلاة في الارانب الصغيرة لدرجة انهم كانوا يجلسون امام الحمار مرات عديدة في النهار وفي الفجر وفي المساء ، واحيانا كانت تقترب منه لدرجة كانت تعيقه عن اخذ قضمة من الشوك ٠

وحدث مرة ان وضع ارنب صغير نفسه بطيش امام الحمار وهو يأكل ، ومع ان الارنب عمل سجدته وقدم صلاته قضم الحمار رأسه ٠

وبعد ان ندبت الام ولدها لمدة في جحرها ، استشارت صديقتها الافعى عن افضل طريقة للتخلص وتخليص البستان من ذلك الحمار الاحمق الشره ٠

قالت الافعى : ان كبرياءه ستكون سبب هلاكه لانه لو عاش كما عاش قبلا ، عندما كانت السنون والايام متساوية لديه ، لمكث الى الابد كذلك من السعادة الدائمة ٠ ومع ان اعماله الوضيعة كانت دائما تزعج افعى بريئة لا تحب الاذية مثلي ـ وكان دوما يظنني قطعة غصن معوج ـ لما فكرت في الحاق الاذية به لو انه ظل يعيش بتعقل ٠

فأبدت الارنبة ملاحظة قائلة : حقا ، انه لم يؤذ احدا عندما كان هادئا واخلاقه طيبة ، ولكن بما انه اصبح يطيب له ان يمدح ويعبد وداخله غرور لدرجة تسول له نفسه ان يقضم رؤس الآخرين ، وفارقته روح السلام ، لم يبق لنا حيلة الا في الخلاص منه ٠

فتمتمت الافعى قائلة : قبل ان اسديك النصيحة التي بموجبها سنصل الى هذه الخاتمة السعيدة ، اطلب منك شيئا واحدا :

لا شك انك ارنبة غزيرة النسل ، وبما انك من المحتمل ستلدين عدد اكبيرا من الفراخ الناعمة ، اني لا احب ايذاءك ، انما اطلب منك كمكافأة على تخليصي اياك من الحمار ، ان تهبيني طفلا رضيعا واحدا عن كل مرة تلدين فيها ٠ اني اعرف تماما انها عادة بين فصيلتكم انكم تأكلون صغاركم عندما يحيقكم الخطر ٠ ولكنني آمل ان هذه العادة ستنقطع عندما اصنع لك هذا الجميل ٠

كانت الارنبة تعي تماما كم سيكون العشب وفيرا اذا ما زال الحمار ، فوافقت على اقتراح الافعى واصغت بمزيد الاشتياق الى الخطة التي راحت تهمسها الافعى في اذنها ٠

انطرح الحمار تلك الليلة على فراشه وظل مستيقظا كعادته ، لان الكبرياء لم تدعه ان يغمض جفنيه ، فصار يعد الساعات ملاحظا بغضب كيف كانت الكواكب تدور في السماء ببطء ـ لانه ظنها صنع يديه ـ واراد ان يبزغ الفجر سريعا لكي تأتي اليه الارانب الصغيرة راكضة من عشها فتعبده ٠

وعندما بزغ الفجر في النهاية ، نهض الحمار وتمطى ، ثم مد رجله الخلفية وحك بها اذنه اليسرى ، وبضربة من ذيله في الهواء قفز خارجا الى البستان ليتقبل الصلاة من عابديه ٠

خرجت لاستقبال الحمار الارنبة الأم لوحدها ، وراحت تقص عليه كيف أن اولادها الصغار ما زالوا في فراشهم خائفين ان يتركوا البيت ، وكيف شعروا انهم لا يستحقون ان يسجدوا لمخلوق ذي هيبة ملكية كالسيد الحمار ٠

قالت : لا شك انهم ارانب صغيرة مسكينة لا قيمة لهم في هذه الدنيا ، وهم ابعد من ان يجلبوا انتباه شخصية عظيمة كحضرتك ٠

واحنت الارنبة رأسها بسجدة عميقة وتابعت : يا سيدي المقدس ، ألا تريد ان تعبد من مخلوقات اكثر قيمة من اولادي المساكين ؟ كل الارض هي ملكك ، وهنالك اناس بين مخلوقاتك العظيمة من سيخدمك ويبجلك بشرف اعظم منا ، وما عليك الا ان تخب بخفة وسط الغابة وستجد جميع الطيور والعصافير التي كنت تحلم بها على طول الطريق مرحبة بقدومك ٠ وفي القرية المجاورة تماما ستجد الكثيرين ممن سيركعون لك ويعبدونك ٠

فهاجت به الكبرياء في الحال لدى سماعه هذا الاطراء ، فقفز فوق السياج لانه كان اعظم من ان يخرج من البوابة ٠ فبقيت الارنبة المالكة الوحيدة لبستان الناسك ٠ وفي الوقت المناسب ولدت الارنبة بكثرة فائقة لدرجة غدت من جرائها الافعى الهزيلة مكتنزة غليظة ٠

وما كاد الحمار يخرج من البستان حتى راح يجري بخفة ونشاط الى ان وصل كنيسة القرية حيث كان الشعب مجتمعا للصلاة ٠ فأطل برأسه من الباب بحذر ، فرأى الجمع كله راكعا تماما مثلما كانت تفعل الارانب الصغيرة ٠ فاعتقد الحمار انهم كانوا في انتظاره ليعملوه الها لهم ، فدخل الكنيسة وهو يخب ويقفز الى ان وقف بجانب القسيس في الهيكل ونهق بصوت عال ٠

فانزعج القوم من هذا النهيق الكريه وانهض الكل عن ركبهم ٠ وامسك كاتب الكنيسة هراوة ضخمة في يده وراح يضرب الحمار ضربا مبرحا وجيعا الى ان أخرجه من الكنيسة ٠ وكان قد ازمع على قتله لولا ان توسل اليه القسيس بحرارة ان يعفو عنه ليشغله كدابة لحمل الاثقال طوال ايام حياته ٠

لقد كفر الحمار المسكين عن كبريائه بطريقة محزنة ، واصبح ملكا للكنيسة حيث افاد القسيس منه كثيرا ظانا بأنه قد ارسل اليه من المخزن ٠ حيث تحفظ جميع الاشياء الحسنة لمنفعته الخاصة ٠

واضطر الحمار ان يشتغل في الحر والبرد ٠ وضربه جميع أولاد القرية وركبوه ، ولم يعط له من القوت الا شيئا قليلا جدا من أرذل الحشائش ٠ واخذ الصبية يرجمونه بالحجارة ، والقسيس يلعنه ، كما وغدا اضحوكة لنساء القرية ٠

ترجمها عن الانكليزية
يوسف ايهم جبرا

الى امرأة .. شعر : محمود نعره

حملتك .. في نفسي ، وحملتك الشذى
وفيحت .. مغناك الأحب .. على هوى
أضمك .. حتى يركد الحس في دمي
سرقت بعينيك الصباح .. وما درى
وقبلت في خديك أطياب روضة
ونولتك النعمى .. شبابي ورغبتي
ودغدغت مصقول الحواشي .. فانتخى
جمالك في روحي ، وعطرك في يدي

عواصف من شوقي ، وصهباء من كرمي !
غناجك .. في وهج السماحة .. من همي
فأعيا .. واشواقي جياع .. الى الضم !
ودحرجت في نهديك .. قهقهة النجم
برود على ناري ، حنون على سقمي !
وألبستك البقيا .. أعاصير من اثمي
خيالي .. فأنطقت التلاوين .. بالرسم
وأمنك في دربي ، ورؤياك .. في حلمي !

*

أحبك .. يا عنف الخطيئة في دمي
وغيمتنا الزرقاء .. ما رف ظلها ..
ويا برق صلصال السماء .. أمنكر
سرابك هذا اللؤلؤي ... نبذته

وأهواك يا لمح الألوهة في وهمي
على الكون .. الا بالتعلل .. واللؤم ؟
على الروح .. في درب الهوى .. صحية الجسم؟
وأترعت كأسي .. من مقاديرنا .. العصم!



مهداة للشاعر وصفي قرنفلي

أين ذاك الانشاد ، يا مسكر الروض ،
أيحل الظلام ، في جوك الرحب ،
خل عنك الأسى ، وفك قيودا ،
أنت ان شئت ، فالكئوس ملاء ،
أتهز الخمسون ، من عودك الصلب
مغرب الشمس ، والمشيب سواء ،
أيقظ الشعر ، فالقوافي تراعي
انما الشعر ، ذلك الامل الحلو ،
وأدم ، للخمائل الخضر ، رياها ،
وتمل الشباب ، في ضحوة العمر ،
ربما عطر الدنى ، نسم منك ،
حسبنا الشعر ، حسب كل شقي

وأين الصباح في مغناكا
وينز الضياع ، في مسراكا
وتنقل على اختيار هواكا
واذا شئت ، فالهوى مغداكا
وتدني السنون ، من علياكا
حبذا الرائعان : هذا وذاكا
من دياجيرها ، سنا رؤياكا
فلامس بشعرك الافلاكا
وأورد ظلالها نعماكا
وخلف ، على الدروب ، شذاكا
ومرت ، على الجراح ، يداكا
أن يواري اساه شجو غناكا

حمص ـ خالد الزهراوي

قنون والوان

من أجل بناء مستقبل فني مشرق لسورية العربية؟

دور الفنان في صالة «الفن الحديث العالمي» في بنـــاء هـــذا المستقبل

بقلم : غازي الخالدي

هل للفن التشكيلي في سورية تاريخ ؟..

هل في تاريخ الفن التشكيلي في سورية رجـال اكفاء ..؟

ما هي الظروف التي خلقت هؤلاء الرجال ؟..

هل لهؤلاء الرجال .. وللفن السوري العـربي مستقبل ؟

اسئلة كثيرة ، بحاجة الى دراسة ، بحاجة الى الى اجوبة .. بحاجة الى توضيح ..

الحقيقة ان سورية في تاريخها القديم ، منذ جاءت اليها الهجرات السامية من الجزيرة العربية ، الى اوائل القرن العشرين تملك تراثا ، وذخرا لا حد له ، وهو في الواقع يشكل التاريخ الحقيقي للفن العربي السوري .. وتوالي الحضارات على هذه البلاد خلف بطبيعة تغير المراحل السياسية انماطا مختلفة من الفنون التشكيلية ، من نحت وتصوير وعمارة .

اما تاريخ سورية الفني الحديث ، فلا يزيد عن ربع قرن فقط .. ظهر في هذه الفترة بعض الفنانين الذين عاشوا على هامش الحياة الفنية ، وكانوا يمارسون اعمالا مختلفة الى جانب هوايتهم الفنية .

وكان الفن هواية ، ولم يكن رسالة ، ولم يكن حرفة ، ولم يكن دراسة .. وعقيدة ..

وقد لا نستغرب اذا رأينا ان بعض الخطاطين نالوا من الرعاية اكثر من اي رسام او مثال عاصرهم ..

والمشكلة الخالدة التي كان ولا يزال الفنان يعانيها في بلدنا هي : « نظر الناس الى الفن نظرة ترفيه ، وكماليات » وبالتالي فردية الفنان ومحاولة انعزاله عن زملائه وعدم تعاونه مع اقرانه الفنانين ، جعل الناس ينفرون من هؤلاء الفنانين جميعا ..

من هنا ، كان تاريخنا الفني الحديث ، هزيل ، وليس له جذور علمية ، وليس فيه أبطال خالدون .. والى الآن لم يولد بعد الفنان الكبير الذي يستطيع ان يحتل مكانا من تاريخ الفن في العالم .. لم يولد هذا الفنان في سورية بعد .. مع الاسف .. ولكن بوادر رجال افذاذ سيدخلون التاريخ قريبا .. بدأت تظهر



ملامحهم في اعمالهم الجدية التي يقدمونها للناس في معارضهم الفردية ..

وأضاع الفنان السوري حياته ، ومستقبله ، وقطع الصلة بماضيه ، وانشغل بحب نفسه وتخليد ذاته .. وراح يكرس كل عمره وكل فنه وكل امكانياته من اجله هو ، لا من اجل الفن .. ولا من اجل البلد الذي يرعاه .. ويحميه ..

وتباعد الفنان عن اخيه الفنان ، ولم يتورع عن شتمه احيانا .. واهانته احيانا اخرى لدرجة التجريح والتحدي البطولي الفارغ .. وكان من جراء هذا ان فقد احترام الجمهور والناس والتاريخ ..

ورغم كل المحاولات التي جرت لتوحيد صف الفنانين في سورية من جمعية محبي الفنون الى الجمعية السورية للفنون ، الى رابطة الفنانين السورية .. فان جميع هذه المحاولات كانت لا تعمر طويلا .. ولا تصل حتى الى سن الرشد .. كانت تموت طفلة .. لماذا ؟ ..

لانه لم يكن وراء الفنان الرجل المخلص الطيب ، الرجل الاداري الشريف ، الذي يحميه ويدافع عنه ..

الفنان عندما يتعاون مع اخيه الفنان يجب ان يبعد عن ذهنه الخلاف المذهبي في الفن ، لان العلاقة العملية



شيء ، والعلاقة الفنية المنهجية شيء آخر .. ولا يمكن في تاريخ الفن الطويل ان يتفق فنان وفنان في الفن .. ولكن من الممكن جدا ان يتفقا في الهدف والعمل من اجل الفن .

ولهذا ضاع الفنان السوري ولم يفرق بين هذين النوعين من التعاون .. فصارت الجمعيات تحارب بعضها البعض هذه تدعي حماية المدرسة الكلاسيكية وثانية تدعى حماية المدرسة التجريدية .. وهكذا .. لم يبن في سورية الجو العائلي بين الفنانين

وصارت تقام بعض المعارض في بعض الجمعيات ، وتعلن عن حفلة افتتاح تدعو لها من علية القوم .. وسيدات « الفرو » و « السوار دي باري » ، ورجال « المونوكل » .. حتى انعزل الفنان الحقيقي عن المعركة .. وانعزل الجمهور الذواقة عن المعارض ..

والضحية دائما هو الفنان نفسه ..

كيف يمكن ان نجد لهذه المشكلة حلا ؟.. كيف يمكن ان نقرب بين الجمهور والفنان .. وبالتالي نقرب بين الفنان واخيه الفنان ؟..

طرحت هذه الاسئلة على بساط البحث في اجتماع عقد في دمشق في الشهر العاشر من عام ١٩٦٠ ، وجاء اقتراح انشاء صالة للفن الحديث ، مهمتها متابعة الحركة الفنية ودعمها بشكل مستمر ، على ان يتفرغ لها احد محبي الفنون الجميلة .. وكان السيد محمد دعدوش هو الذي تحمل العبء من اول يوم تأسست فيه « صالة الفن الحديث العالمي » . واتخذت ذلك الاسم ، واقامت باكورة انتاجها يوم ٢٠ - ١٠ - ١٩٦٠ بمعرض للفنانين محمود دعدوش وجوليو بالوتسي ، وعرض فيه لاول مرة الفن التجريدي الحديث في النحت والتصوير ، وكان اول تجربة مغامرة من نوعها تطرح الى الجماهير العربية في سورية ..

وبدأت الصحافة تتحدث ، والناس تتردد الى الصالة .. و صار اسم « الفن الحديث » حديث الناس في كل مجتمع .. وهكذا بدأت الصالة تحرك الناس .. فبعث فيهم روح السؤال .. وروح المناقشة .. وروح الجدية في زيارة المعارض .. وتوالت المعارض في الصالة

بلا انقطاع ، وقدمت اول معرض خاص للفنان فاتح مدرس في ١٣ - ١١ - ٦٠ ثم معرض التصوير الفوتوغرافي الاول لجورج فوزي ، والمعرض الاول الخاص لنعيم اسماعيل ١٧ - ١٢ - ٦٠ ثم ظهر اسم جوليان قطيني لاول مرة في معرضه ١٢ - ١ - ٦١ وظهر لاول مرة خالد جلال في معرض خاص به في ٢٢ - ١ - ٦١ ، وكذلك عبد القادر ارناؤط الذي عرفه الناس مجرد خطاط ، قدمته الصالة كفنان ومصور في معرضه الاول ١ - ٢ - ٦١ واسعد زكاري في اول معرض له ايضا ١٥ - ٢ - ٦١ ، وبعد ذلك اقامت الصالة اول معرض من نوعه حيث عرضت مجموعة مقتنيات الدكتور سلمان قطاية ٢٧ - ٢ - ٦١ وذلك لتذكر الناس والجماهير .. والبيوت الدمشقية خاصة بان هناك بعض الناس من يقتني اعمالا مختلفة لجميع الفنانين ، ويفخر بهم .. وهذه اول بادرة طيبة للدكتور سلمان قطاية في عرض مجموعته الخاصة .. حتى ان كثيرين من رجال البلد فكروا جديا بجمع بعض الاعمال لبعض الفنانين ليكون لهم ايضا مقتنيات خاصة .. هذه الفكرة كانت لصالة الفن الحديث ..

ثم عرض لاول مرة الفنان سامي برهان لوحاته يوم ٢٧ - ٤ - ٦١ ، وبعده تعاقدت الصالة مع بعض الفنانين الاجانب وذلك لاطلاع الشعب العربي في سورية على نتاج الفن الغربي وعرض الفنان الفرنسي اندريه كونون .. يوم ١٣ - ٥ - ٦١ لوحات مختلفة في التصوير الزيتي .

ثم اقيم معرض نيوليت عبجي ثم معرض لؤي كيالي الذي كان قد وصل حديثا من روما بعد تخرجه منها . ثم رولان خوري ، ثم قتيبة الشهابي ، حزقيال طوروس ، هشام معلم ، ثم معرض خاص لبعض الفنانين الاجانب من ايطاليا واليونان وامريكا ويوغوسلافيا ، والارجنتين والتايلاند ، ثم اقيم المعرض الاول للفنان مروان شاهين .. وكان مفاجأة للناس ان يروا الفنان شاهين مصورا ناجحا بالاضافة الى وظيفته وعمله .. وفي ٢٦ - ١٢ - ٦١ اقيم المعرض السنوي للصالة ..

ولاول مرة ايضا اقامت الصالة معرضا للبيع في معرض دمشق الدولي ٢٥ - ٨ - ٦١ لجميع فناني سورية على الاطلاق .. من نحت وتصوير

ولما جاء الصيف .. اقترحت الصالة عمل مسابقة لايجاد موضوع يشترك في رسمه جميع الفنانين في سورية .. وكان هذا الاقتراح اعلان عن حفلة ثم مسابقة لانتخاب ملهمة للفنانين .. وفازت هالة الميداني .. واقيمت لها الحفلة .. ورسمها ٤٨ فنانا .. اشتركوا بـ ٥٢ لوحة في معرض خاص لها ..

وخرجت الصالة من نطاق دمشق الى لبنان واوروبا واقامت معرضا في بيروت ومعرضا متجولا في اوروبا نجح نجاحا كبيرا هناك .. وكان خير سفير لنا في اوروبا ليعرف العالم الغربي مدى تطورنا الفني والفكري من خلال اعمال الفنانين السوريين .

والشيء الجدير بالذكر حقا .. هو الندوات الفنية والثقافية التي كانت تقام بعد كل معرض ، لمناقشة اعمال الفنان ورأي الجمهور بلوحاته .. ورده على كل ما يقال .. وكانت هذه الخطوة من اكثر الاعمال اهمية بالنسبة لنشر الوعي الفني والنقد الفني عند الجمهور .. وهذه الفكرة بدأت تقرب فعلا بين الجمهور والفن .. وبين الجمهور والفنان .

اما عن المحاضرات التي كانت تقام من وقت لآخر ، فكانت ايضا خطوة ناجحة .. لزيادة نشر الوعي الفني والثقافي بين الجماهير .. وتحدث عفيف بهنسي ، ومحمود حوا ، ووهبي الحريري ، وحسن كمال ، ولؤي كيالي ، وممدوح قشلان ، وسليمان الحلو .. وغيرهم .. في محاضرات مختلفة ..

وزيادة في نشر الوعي الفني ايضا ، طبعت الصالة بعض الكتب الفنية ، منها حياة فتحي محمد ، والفنون الشعبية في دمشق ، وكتاب عن حياة الفنان عبد الوهاب ابو السعود .. وغيرها ..

والمهم الآن .. وعلى ضوء نشاط الصالة الفني ، والفكري والثقافي ..

ما هي الخطوط العريضة التي يمكن لنا ان نضعها امام انفسنا وامام الجمهور وامام الدولة لتتبناها جميعا ، ونعمل على تحقيقها ودعمها بشكل جدي وبناء ؟!

اولا : يجب انشاء اتحاد عام لخريجي الفنون الجميلة . ومن شأن هذا الاتحاد ان يتعاون مع صالة الفن الحديث هذه ، ويتحمل مع السيد محمد دعدوش بعض المسؤوليات من اقامة معارض خاصة وعامة ، ومتجولة ، وطباعة كتب وتراجم حياة الفنانين ، واصدار مجلة فنية ترعى مشكلة الفن التشكيلي في البلاد . والسعي لاقامة بعثات للفنانين حول العالم ، للاطلاع والثقافة ، ولمنح جائزة التفرغ المجمدة في المجلس الاعلى للآداب والفنون ، ولاقامة وتنفيذ مشروعي « بينالي اللاذقية » ومرسم الدراسات العليا في مدينة بصرى الشام في الجنوب .

والصالة التي بدأت تنفث اللهثات الاخيرة بعد ان تعبت وجاهدت وناضلت بحاجة الى من يعطيها الحياة ويجدد فيها النشاط لتعود الى دور القيادة .. وجمع شمل الفنانين من الناحيتين العائلية والفنية المدرسية .

ثانيا : نشر الوعي الفني في البلاد باقامة المعارض الدورية في المحافظات وتوضيح اهمية وجود لوحة او لوحتين في كل بيت سوري ، بحيث يدل اختيار اللوحات في البيوت في مدى اذواق اصحابها ..

ثالثا : تعاون الدولة مع الفنانين وذلك بشراء لوحاتهم وتماثيلهم وارسالها الى سفاراتنا في الخارج ، فهي خير سفير لنا كما قلت ليرى العالم مدى تطورنا الحضاري عن طريق العمل الفني الجدي المدروس .

رابعا : تطوير الحركة النقدية وتحديد مسؤوليات الناقد تحديدا دقيقا علميا يحددها الاتحاد العام لخريجي الفنون الجميلة بحيث تبعد الايادي المضللة .. والفضولية عن الفن والفنانين .

خامسا : معارض دورية في اوروبا وامريكا والاتحاد السوفييتي اسوة بالمعارض التي تقام في بلادنا للفنانين الاجانب ، وعلى الدولة ان تعمل لبيع اعمال الفنانين العرب في تلك البلاد ففي ذلك دعاية قومية كبرى لسورية الفنانة . تلك هي الخطوط العريضة التي يمكن ان نضعها امام الفنانين العرب في سورية ، وامام الجمهور ، وامام الدولة .. وبعد ذلك نحن ضامنون مستقبلا مشرقا للفنان واللفن .. ولسورية العربية خلال خمس سنوات فقط نرى نتاج هذا المجهود الجبار لو اعطي حقه من الرعاية والاهتمام والاخلاص من الجميع .

دمشق ـ غازي الخالدي

افول

قصة بقلم: مالك الركابي

تنوعت

طفق « ملا جاسم » يتحسس حافة السرير بعصاه ويتلمس مكانه ، فجلس على كرسي بجانب فراش المريض .. وامتدت يده في الحال بحركة تشوبها رجفة الكبر والتأثر .. وشرعت تلك اليد المعروفة تتحسس ذلك الكيان الممد على السرير ، فتجس أطرافه .. صدره .. وجهه .. وعادت وقد بدت متصلبة مرتعشة ، اذ تأكد « ملا جاسم » أن ذلك الجسم قد ذوى ولم يبق منه سوى الهيكل العظمي المتيبس ، فبعث هذا الواقع في نفس الرجل حسرة وألما بالغتين ، فراح يداري كوامن الالم بالتشاغل مع المريض في السؤال والاستفسار عن صحته وعلاجه ومعاملة أولئك الاناس الذين يقومون بادارة شؤون المستشفى ، فكان الجواب يأتيه مقتضبا ، بيد أن الرجل ظل واجف القلب لم تفارق شفتاه ارتعاشة ظاهرة ، فبانتا متيبستين .. وكأن شريان الحياة أنعدم منهما ، فصمت قليلا .. عبر بخاطره السنين الطويلة ، فتمثلت أمام عينيه اللتان أنطفأ نورهما .. سلسلة حياة أبنه المسجى بجنبه الآن ، فاضت منه عبرة تكسرت في صدره .. نفس عنها بأنة توشك أن تكون خرساء .. خرجت من الاعماق .. وكأنها آتية من العدم ، ثم ضرب ظاهر فخذه بباطن يده .. ومد يسراه الى مقبض عصاه .. وأثبتها بين ركبتيه واقترب من حافة السرير حتى اتكأ عليه واستند على كوعه فوق فراش المريض وخاطب أبنه بعد تردد وحرج وهو يحرك نظارته ويثبتها على قنطرة أنفه ويدنيها حتى تلامس حافتاها حاجبيه الكثين فقال :

بني « طه » هل ما زلت على رأيك وتمردك السابقين ؟ أنه الطيش .. طيش الشباب .. ألم تتغير بعد هذه النكبة التي حلت بك ؟ أرجو أن لا تؤاخذني .. نعم .. لا تحسبني من الشامتين .. أنك فلذة كبدي .. فلن أشمت بك كالآخرين ، أما اذا كانت مفاهيمك تجعلني على صعيد واحد مع الغير ، فهذا مما يؤسف له يا عزيزي .. على كل حال لا تغضب مني .. واحترم كبري .. واذكر أبوتي المعذبة .. أنني كلما صليت تذكرتك .. أجل .. تذكرت تهورك .. وكيف كنت تسخر مني وأنت ترمي النكات الصبيانية حين تبصرني في سجود وركوع ، ولما أعاتبك أو أنهرك غاضبا ترد علي قائلا : خلي ربك الذي تعبده يعاقبني ، كانت هذه العبارة كسهم أصاب منه الفؤاد ، فأنتفض كالملدوغ ، وهنا تململ الفتى بضجر أن السرير من تحته بصوت يشبه الازيز ،

فكانت هذه اشارة الى أبيه أن اسكت ، فصمت الاب البائس وامتدت يده الى جيبه .. الى علبة السجاير فأخرج لفافة شرع ينفث دخانها بشدة وران السكون عليه .. وكأنه يرقب ويتأمل تلافيف دخان سجارته المتعالي في جو الغرفة .. ليس بنظراته ولكن بخواطره ، وقبض على عصاه ونقر بها الغرفة ، وحاول أن يغير مجرى الحديث الذي استثقله أبنه فقال : بني « طه » لقد جاء صديقك عدنان من بغداد .. بعد أن أكمل دراسته في كلية التربية .. فسأل عنك .. ولا أكتم عليك أسفه وتوجعه لما آليت اليه حياتك .. انه ولد طيب مستقيم السيرة ، ألم يزرك يا عزيزي ؟ فأجابه بقوله : زارني .. وسكت ،

وعاد الرجل لافكاره .. فعاش دقائق في حياة خلت ، كان فيها هو في حيرة وقلق من سلوك ولده .. منذ بلغ مرحلة أجتياز الدراسة الابتدائية حين ظهرت عليه بوادر التغير .. اذ بدا يشكك ويسفه ما كان مألوفا في محيطه .. وهو لم يبلغ سن النضوج والتكامل العقلي ، كما بانت عنده نزعة التمرد وشق عصا الطاعة علي فعندما أوصيه مثلا .. أن يتكل على الله

ويذهب الى الامتحان .. يضحك بسخرية ويرد علي هازئا : وفر هــذا الدعاء لنفسك . ويتعاظم غروره وتتضاعف غطرسته حينما يتخطى الامتحان فيخاطبني بلهجة كلها تعال قائلا : لقد اعتمدت على نفسي قبل دخولي الامتحان ولم أتكل على ربك .. فنجحت . وفوق هذا لا يكترث لصياحي وهياجي .. بل يبارح الدار غير آبه بثورتي المشبوبة . وقد ازداد عجرفة وتمردا عندما ادخل الثانوية .

وهناك تعرف على عدد كثير من الشباب الذين يحملون الافكار والمباديء نفسها .. تلك المباديء والافكار الغريبة التي غرست في نفوسهم منذ الصغر . فزادتهم هوسا وتهورا . وقد عانى قبل هذا صراعا نفسيا عنيفا بين قوى الخير وجحافل الشر وهو لما يزل حدثا لم يدرك أمور الحياة . فجاء من يلقنه تلك الدروس وأولها : محاربة الاستعمار .. الرشوة .. الفساد .. الظلم .. الاقطاع .. الرجعية .

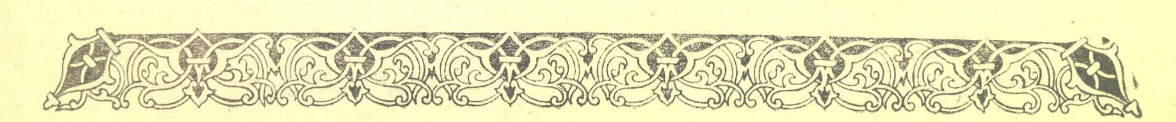
فلقيت هــذه الدروس تربــة خصبة في ذاتــه واستعدادا منقطع النظير . فواجهها بعاطفة صادقة وحماس ظاهر .. واستوعبها . فكنت أستطير فرحا وأنا أجده يشرح لي ذلك . ولم لا أبتهج ؟ فنحن أناس فقراء .. نعيش على صدقات المحسنين .. أو أحصل على رزقي في أيام عاشوراء .. أعيد ذكرى مقتل الحسين على المنابر .. ولم تكن لنا مصالح مع الاستعمار أو الاقطاع . وكل مخلوق يحمل نفسا أنسانية .. يأبى الظلم ويكره الفساد ويمقت الرشوة .. ويود أزالة الاقطاع ويستميت في صد المستعمرين .. ولا يتورع في ضرب الرجعية التي تبقى المحافظة على الاوضاع المتفسخة .

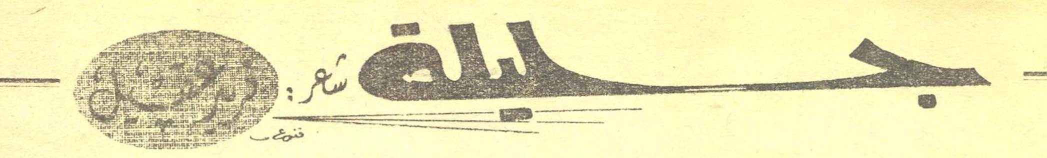
بيد أن الامر لم يقف عند هذا الحد .. اذ أستغلت حماسة ولدي لتلك الافكار . فألقن شتى الدروس . فطرأ عليه شيء من هذا التغيير أثر ذلك .. لم يأته عفو الخاطر .. بل عاشت في أعماقه زمنا طويلا في تبلور واصطراع .. حتى تجسم في ذاته عملاق الشر . فلوحظ ذلك في تصرفاته . فغدا يتهكم علي وقت الصلاة فيقول : صوم .. صلاة .. عبادة .. دين . تبا لها من عقول مهترئة أكل الدهر عليها وشرب . لعمري كل هذه سفاسف وحماقات . أنكم معشر الرجعيين ـ حجر عثرة في تطور المجتمع .. ولا يتطهر من الشوائب الا بأنقراضكم . أنكم لم تتقدموا قيد أنملة . ثم يقهقهه بصخب محاولا التشويش علي .. ولم يكتف بهــذا القــدر من الاستهتار بل يتجرأ بكل وقاحــة فيركل « تربتي » التي أصلي عليها . فأظل في حيرة حيال هذا السلوك الشائن .. استعين بالله من الشيطان . اذ لا أتمكن كالسابق أن أثور عليه وأهدده بالويل والثبور . لأنه كبر وصلب عوده ولم يكن ذلك الفتي الذي كنت أنهره وأوبخه . فيترك البيت يضج بثورتي . ولكنه لا يتوانى لحظة في ضربي وأهانة شيخوختي الآن . بيد أن تهوره وتجبره قد تلاشى حين أمسى مقعدا بعد أصابته بالشلل .. وتوالي رسوبه قبل مرضه وفقد كل حلم كان يراود مخيلته . فتململ « الملا » في جلسته .. فسقطت عصاه على الارض .. وفزعت قطة كانت تحت السرير مخبئة . فطفقت تموء . فكانت هذه الجلبة قد بددت أفكار « ملا جاسم » ونبهت « طه » لاعراضه عن أبيه .

ودار حديث عابر بينهما .. تلاه « الملا » بسؤال لولده قائلا : بني « طه » هل مازلت على أفكارك الماضية ؟ أرجو أن أعرف ذلك .

وبعد صمت وسكون خيما عليهما .. بددتهما أنة متحشرجة أنبثقت من أعماق « طه » أعقبها بصوت واهن يقول : أدع لي يا أبت بالمغفرة .. ورفع الغطاء على وجهه .

البصرة : مالك الركابي





سلمت باطرف اليتيم .. فسلمي ... وتبسمي للمعتب المبتسم

وتكلمي ان شئت .. ما عرف الهوى ... في شرعه اني فضحت مكلمي

لك ما اصبت من الهوى وفتونه .. ... خفر المحب .. وصبوة المتكتم

وصبا فتى صرع الشباب بعزمه ... في يوم مولده .. ولما يفطم

أبت البداوة وان تبين دربه ... فاختطه بالصارم المتثلم

وأصاب ما بين النجوم اهلة ... جل الطموح عن الهوى المتأثم

* * *

لما استباح له الصباح عذاره ... واحله من يومه المتجهم

هتك الستار عن الشباب ورده ... للمهد رد القادر للمتحكم

ماعف عن ماضي الضلالة آثم ... عراه قاتله .. ولم يتكتم

* * *

ذات الصليب .. وفي الفؤاد مواجع ... ما استسلمت أبدا .. ولم تستسلم

حتام تعشى بالضياء نواظر ... عشى الهوى من صبحها المتوسم

ويضل مسراه وقد عرف السرى ... من قبل الف متيم ومتيم

انا بالفؤاد عرفت زور صبابتي ... في مقلتيك .. ووصلك المتوهم

فكتمت عنك هوى الفؤاد وقد هوى ... ومواجع القلب اليتيم .. وقد رمي

تسعى به عين اليك واختها ... مرتدة .. وكما انها لم تسلم

ثنتان ضائعتان في درب الهوى ... كغريرتين أهلتا في موسم

* * *

يا شاعرا مضناه في وادي القرى ... هذا هو البيت العتيق فاحرم

الهاشمية .. والهوى في هاشم ... حرمت على غير المحب المسلم

اموية في الخدر راودها الهوى … الفضاح عن عذرية لم تلثم

في ليلة خلع المشيب عذارها … واباحها للضارع المستسلم

حسرت عن الوجه الخمار فاطلعت … شمس الضحى للعابد المتجهم

ودنت .. وحيت باليدين فمرحبا … بحبيبة ، كالبدر بين الأنجم

وبمهجة حر الجناب .. هجينة … لولا تطاوعني .. نذرت لها دمي

تمشي ويصرعها الحياء كأنها … شامية في دلها المتنعم

بصواحب ادركن مكنون الهوى … عمدا .. وما خفي الهوى لمتيم

اخفين ما فعل الصدود بمدنف … وسمته ايام الوصال بميسم

فسألته ان يستجير بأمسه … من سوء عاقبة ، وشر توهم

ويصد عن صهبائه ، ولطالما … عل النديم محللا بمحرم

وعرضن من خلف الخدور كواعبا … بيضا وسمرا في الرداء المعلم

من آل معروف .. واية عصبة … ترقى الى وكر النسور .. وتنتمي

وتبسمت نظراتهن .. وانما … ادنين زور وصالهن بمبسم

العاذلات الزهر أدركن الهوى … في مهده لما استجار .. ليحتمي

والمريمية عطلت لألاءها … في عرسه .. وازينت في المأتم

يا عفة الدارين أسقم مهجتي … خبر أهل من السراب بالمعتم

فأتيت امتاح الظنون معاتبا … متأثما يسعى الى متأثم

وشفيع لهفتي الحرام مودة … كانت رسولك باليدين وبالفم

باكرتها سحرا وباح لي الجنى المعسول … عن مكنونها المتوهم

فحملتها بيدي وعدت بها الى … عهد الطفولة شاعري المبسم

ونذرتها فعل الغريب تميمة … لغدى لهذا المستبد المبهم

العاشق المضنى .. وكيف ارده … عن مورد عذب وفيض ملهم

وهو الذي عرف الشراب وذاقه … قبل النديم .. وعله بالبلسم

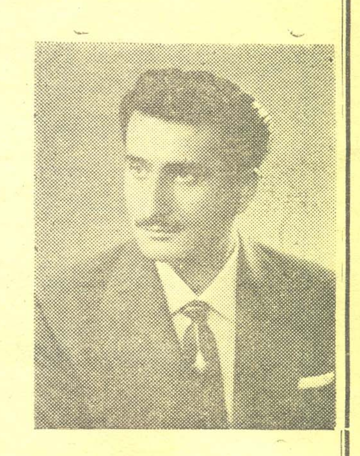
هذا الغوي بما استباح لأمسه … افدى ضلالته بعفة مريم !؟!

درعا في ٢٠/١٢/١٩٦٢

فريد عقيل



ـ الى التي أحببت دائما ...



جاءني أنك قد ساءلت عني بعد أن مزقت لي أجمل لحن
أنا ذاك الامس لا أذكره الا كطيف عابر مر بظني
أنا ذاك الامس قد ودعته .. دون دموع .. دون آهات وحزن
فاذا ساءلت عني .. فدعي الذكرى ونجواها وأطياف التمني
وبذاك الامس .. والحب الذي ودعت ذكراه قديما لا تظني

* * *

لا تثيري ذكريات رحلت عني بعيدا بعد أن أغلقت قلبي
حسبي اليوم جمال الليل والظل الذي ينهل لي من كل جنب
أنا قبل الامس كان الليل محرابي الذي ألهمني أول حب
كان حبي كشعاع النجم .. كالنسمة نشوى حينما تسري فتسبي
كان حبي صلوات .. وابتهالات .. ونجوى .. قبل أن أخطىء دربي

* * *

أنا لا أعبد ظلا يتحدى كبريائي
واباء القلب عندي دونه أي اباء
ولقد يفتك بي الشوق الى قطرة ماء
فأضم الغصة العطشى ولا أشكو سمائي

*

فلقد أنبأني الليل .. وما أكثر (ما) أنبأني الليل قديما
أن سر الحب في أن تصبح الحب الذي تهوى من الوجد نسيما
فشعاع الحب شلال سخي يملأ القلب كروما ونجوما
يتهادى في حنايا النفس وحيا يغمر النفس سلاما ونعيما
انه الحب الذي يغدو به الانسان في الايام انسانا عظيما

* * *

أنا يا طيف ليالي القدامى قـد وهبت الحب أيام حيـاتي
وعلى مذبحـة قدمت قربانا عيوني ٠٠ وعـزيز الامنيـات
أنا ما عمـري اذا لم أعبد الفجـر الذي دوما له كانت صلاتي
فحيـاتي صـور لونهـا الحب فكانت في يديـه أغنيـاتي
وحنيني ٠٠وابتهالاتي ٠٠ونجواي ٠٠وحبي ٠٠كلهامن صلواتي

* * *

أنت لو كنت كما في خاطري الاغنية المنشودة الكبرى الحبيبه
لحملت العبء عني ، وتعهـدت برفق عبء أحزاني الكئيبـة
وترفقت بقلبي ٠٠ ذلك القلب الذي عاش التباريح الرهيبه
وتغنيت بشعري ٠٠ شعري الزاخر ألحانا كأمواجي غضوبه
غير أني كنت مخدوعا ٠٠ وما كنت سوى دمية أطفـال لعوبه

* * *

كنت ذاك الشاطىء الحافل أسرارا ، وجنات فراديس وسـحرا
كنت تلك الغابة الوارفة الاغصان ، بل أغنى بدنياها وأثرى
كنت دنياي ٠٠ وعمري ٠٠ والشذا الفاغي الذي يملأ أيامي عطرا
كنت عندي ملء قلبي ٠٠ درة لم تشهد الاعماق أختا لك أخرى
كنت دنيـا تتحدى كـل ألواني أن ترسمها نثرا وشـعرا

* * *

كنت ذاك الصنم المعبـود في وهم ظنوني وهيامي وضـلالي
كنت تلك القطة المرحاح في دربي ، وفي مسرح شوقي وخيـالي
ولكم مـزقني الوجـد فصورت بشعري لحظـات الانفعـال
فأتى شعري مرآة لقلبي ٠٠ نابضا بالحب ، خفـاق الظـلال
فاذا ساءلت عني ٠ فاسألي عن شعري الحالم دوما بالجمـال

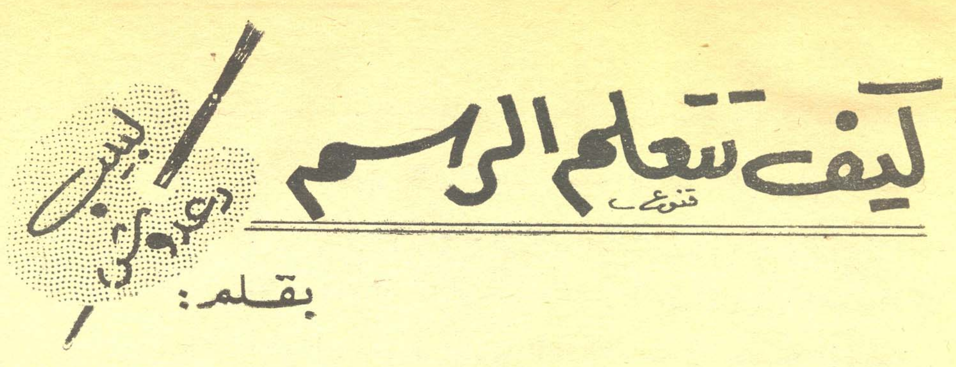
* * *

وادفني الذكرى ٠٠ فماكنت لشعري ذلك الحب الذي أفديه عمري
ودعيني لكؤوسي ٠٠ وليالي ٠٠ وألواني ٠٠ وأحلامي وشعري
فأنا أجمل في شعري من عينيك ٠٠ من دعوة جفنين وثغـر
وأنا أغنى بقلبي مـن ندى الحب بطهري وبأعمـاقي وتبـري
واذا ما عدت يوما ٠٠ أي يوم ٠٠ فستلقين هنا أرحب صدر

* * *

من ديوان « ألحان راقصة »

ممدوح مولود



فن الرسم هو الطريقة او الواسطة المتبعة لارضاء دافع داخلي للتعبير عن جمال الاشياء . فمثلا عندما يغني المرء او يصفر طربا فانه يلبي بذلك رغبة ذاتية لعاطفة ما ، وكثيرا ما نسمع شخصا يقول (أتمنى لو كنت قادرا على رسم هذا الشيء او ذاك) أو (ليتني قادر على تصوير هذا المنظر) ... ما دام انه يشعر بجمال المنظر او الشيء الذي يراه . لكن لماذا لا يمكن لهذا الشخص ان يفعل ما يتمناه ؟ ان الفرق بين الفنان والشخص العادي ليس في عمق الاحساس بالجمال بل في مفهومية قوانين الجمال . فنظرة الشخص العادي هي اذا تجريدية ، بينما نظرة الفنان مكثفة رغما عن ان المنظر هو ذاته . الفنان يجسم ويصمم انطباعاته لانه يوازن بين القيم التناسقية والخطوط والالوان بحيث يخلق مزجا تأثيريا يمكنه من ابراز المنظر الذي شاهده من الذاكرة بدقة ومهارة تشعر الشخص العادي بان الصورة ما هي الا انتاج صادق لما يكون قد شاهده هو أيضا . ويمكن تحديد هذا الفن بمجموعة مترابطة من عناصر عدة من الخطوط والاشكال والنماذج والالوان وامكانية ربط هذه العناصر مع بعضها البعض يسمى ترتيبا او فنا .

بعد هذه المقدمة كيف تباشر بدراسة الرسم . ابدأ بملاحظة كل ما هو طبيعي او ما هو من صنع الانسان وحاول ان تعتمد على الرؤية ، فعندما تنظر الى شجرة عليك ملاحظة شكلها الكلي ومقارنتها مع غيرها من الاشكال المألوفة لديك : هل هي مستديرة ؟ بيضوية ؟ أم مربعة ؟ وحاول ان تتبين مدى اختلاف الشيء الذي يقع نظرك عليه بالنسبة للاشكال الهندسية الاخرى موضوع المقارنة . خذ مثلا الالوان . هل هي فاتحة ام قاتمة الخ ... ثم حاول ان تطبق المقياس الصحيح وان تضع بدقة – قدر الامكان – التجاوبات في محلها .

ان العادة من ملاحظة هذه الاشياء ، بهذه الطريقة ، انما هي تمرين نظري به تكون أهم العوامل التي قد تجعلك في عداد الفنانين . وبمعنى آخر انك بهذه الطريقة تدخر لنفسك مؤونة من الخيال الكافي الذي يعد جزءا من مخزن ابتكاراتك الفنية فيما بعد . وكلما ازددت تعمقا في نظرات الملاحظة ازدادت سرعة اكتشافك سهولة التصميم وبساطته . وحتى تتمكن من رسم اي شكل كاف بسهولة وجودة ، فلا بد لهذا الشكل ان يكون مألوفا لديك .

اجلس الآن وارسم بعض الاشكال التي تعرفها . حاول ان ترسم دلوا عاديا او طاولة او كرسيا او قنينة . هل راقبت مثل هذه الاشياء باهتمام سابقا بحيث يسهل حضورها لمخيلتك ؟ ارسم اشكال المربع والدائرة والبيضوي والمستطيل والسداسي الاضلاع والزوايا . ربما قد تتوقف عن رسم الاخير الا اذا كان لديك المام بالرسم الميكانيكي . لماذا ؟ الا غلب ان ذلك عائد لعدم التأكد من الشكل فالمربعات والاشكال الاخرى المألوفة تكون سهلة الرسم اذ ان صور ذاكرتك لها اوضح ، كما انك تعلم بان جميع خطوط المربعات لها نفس الطول وان ضلعي المستطيل متساويان وان الدائرة لا يتطلب رسمها غير دقة الاستدارة .

ان السيطرة على حركة الرسم تنجم عن مألوفية الخطوط والاشكال والنماذج . فاحفظ كل ذلك في ذهنك وحاول من ثم تخيلها .. فستجد انه بمقدورك رسمها بسرعة على الورق وانت تمسك بالقلم .

ان سبب اخفاق معظم المبتدئين هو حاجتهم الى الاستعداد والتدريب . فالملاحظة بالنظر والمراقبة اليومية للاشياء تعتبر من أفضل التمارين للمبتدئين ، وعندما يعتادون على الاشكال الاساسية يمكنهم المباشرة ببقية النواحي الفنية . وسيكون باستطاعتهم مثلا تطبيق

معلوماتهم عن رسم الاشكال الاساسية يمكنهم المباشرة ببقية النواحي الفنية • وسيكون باستطاعتهم مثلا تطبيق معلوماتهم عن رسم الاشجار والمناظر الطبيعية اذا كان قد سبق لهم ان تعلموا كيفية رسم الجذوع والاغصان والاعمدة والاسيجة •

وانت عندما تكون قد رسمت صناديق ذات اوضاع مختلفة فمن المؤكد ان تكون لديك قاعدة لرسم البيوت او رسم حواجز الاسيجه بواسطة قاعدة ضربات القلم وقاعدة رسم الحشائش والشجيرات • فعندما تجلس لترسم يكون لديك فكرة عن كيفية المباشرة برسم الشيء الذي تريد رسمه ومعلومات كافية في اطراف اصابعك قبل مباشرة العمل •

لنفترض انك مارست قواعد الرسم الاساسية ، وان لديك استعداد للبدء في رسوماتك الاولى - عن الطبيعة - وها انت تمتد امام نظريك فدادين من الاراضي والاشجار المختلفة ••• فكيف تبدأ ومن أين

هنالك شجرة جميلة المنظر والتكوين •• فابدأ بها ••• ربما يكون بها تشقق قديم •• وهذا شيء لم تجربه ، ولكن بعد اسابيع قليلة ستكون انت الباحث عن الشقوق والتسطحات لترسمها ، وستتولد لديك لهفة لاكتشاف الاسطحة التي عبثت بها عوامل الطقس •• والثقوب في الاسطحة لن تكون مجرد ثقوبا وحسب بل مجرد شحطه تعبأ بظل قلم الرصاص • اما الباب المهلهل المعلق على علاقة واحدة ، فقد يكون امتحانا لمقدرتك • والتظليل العميق والعميق جدا لداخلية الاشياء ، يشكل كتلة فنية لعناصر الرسم • فالفنان الممارس يلم بكل هذه الاشياء بلمحة بصر •• وهو نفسه يبدأ من البداية ، مرتبا كل شيء - ذهنيا في خانته الاساسية الصحيحة •

ابدأ عملك ببساطة ومن ثم أضف التفاصيل تدريجيا • ولا تنس ان معظم المبتدئين يقعون بأخطاء في محاولتهم الرسم بأشياء كثيرة متعددة التفاصيل • ومن الافضل ان ترسم شجرة واحدة من الطبيعة باتقان ، وتشعر بارتياح لذلك من ان تتخبط في رسمك لوحة معقدة غامضة مصحوبة بشعور الاخفاق مع كل شحطة قلم !

لا تهتم بمدى نجاح رسوماتك في بادىء الامر •• تمتع بما عملت يداك •• وحافظ على محاولتك الاولية •• فلن تمضي عليك بضعة شهور الا وتكون قد مارست شعور الارتياح العميق لاكتشافك - في المناظر الطبيعية - اشياء اكثر لم يسبق لريشتك ان سجلتها قبلا •

لا تحسبن العبقرية تشترى بالنقود او بالطلاسم والشعوذة - انما العبقرية تنبع من ذاتها •• فلا تصرف وقتك وجهدك في غير محله لترسم وتعمل ، وترسم لتوازن اشياء غير عادية يمكن موازنتها ورسمها • فالرسومات التي تعثر عليها في بعض الكتب والمتاحف قد تكون أعلى من مستواك الفني لانها لوحات نادرة جميلة صنعها فنانون ماهرون افرغوا فيها تجارب ومهارة العمر كله • وعليك ان تحاول دائما الاستمتاع بالفن برغم شعورك بانك لست نابغة • فهنالك الآلاف ممن يرسمون الاقواس على القيثارات ويجيدون الضرب على البيان ويملئون الصفحات العديدة من الورق بخراطيشهم ممن لم يسجل التاريخ اسماءهم ومع ذلك فحياتهم اغنى واسعد لانهم يعملون اقصى ما في وسعهم ويتمتعون بجهودهم •

بالطبع يمكنك ان تتعلم اشياء اكثر بترددك على المتاحف التي من شأنها ان تصقل ملاحظاتك على رسومات الفنانين ولوحاتهم - خاصة معارض الرسم بالقلم الرصاص - وبذلك تتمكن من معرفة طريقة كل فنان في التعبير عن طابعه الفردي ، حيث لايتفق اثنان منهم على طريقة مشتركة واحدة • فدرس حياة الفنانين ونقد لوحاتهم اشياء مفيدة للغاية ، ولكن حذار ان تقلدهم ، وعود نفسك على الرضى بعملك وباسلوبك الخاص ولن يمضي زمن طويل قبل ان تتحقق ان ريشتك هي العامل الوحيد في حياتك •

اننا نعيش لعمر واحد في وقت واحد وان هذا العمر لقصير جدا عندما تكون لديك هواية مسلية كالرسم مثلا • فالعطل تنقضي بتلهف • ونهاية الاسبوع انسب الاوقات • والعالم فسيح ملي باشكال رائعة سرعان ما تمتزج في مخيلتك الفنية • فالجدار الحجري القديم لن يكون بنظرك مجرد كومة من الحجارة المرصوصة بل انغام عذبة لذيذة لا مثيل لها •• والغيوم لن تكون مجرد كتل منتشرة في الفضاء ، بل اشكال عجيبة ومناظر ساحرة وموسيقى عذبة رقيقة •• فيها متعة لا تعادلها اية متعة سواها •

فتاة واحدة

قصة بقلم: خضير عبد الامير

البرد شديد في خارج الغرفة والريح سريعة مريعة باردة والليل يكاد ان يجود بآخر انفاسه وامتدت يد رقيقة بيضاء نحو الزر الكهربائي فاصطبغت الغرفة بلون برتقالي خفيف وانعكس الشعاع في مرآة كبيرة ملصقة في الجدار وتحركت امرأة كبيرة السن ترتدي السواد تحت غطائها وفتحت عينيها ببطء ونظرت الى ابنتها فألفتها تطوي لحافها بعناية .

فتحت الام فمها

ـ اهذه انت ..؟

اجابت الفتاة بضجر وحدة

ـ اجل انا

ـ امن الضروري ان تذهبي في هذا الوقت

ـ اجل

وشعرت بأن امها مسكينة وان الحت في شيء فانه ناتج عن حبها له فأحست بالخجل من نبرات صوتها فقالت بتوسل وقد اقتربت من امها اكثر .

ـ الم أقل لك يا والدتي بأني يجب أن أقوم قبل شروق الشمس وانهم أبلغوني بذلك فلا داعي لأن تزعجي نفسك .

فأخفضت الام عينها وبدأت تطوي لحافها لتتظاهر بأنها غير مبالية او لتخفي حقيقة شعورها المضطرب .. انها تغفر جمع اساآت فتاتها الوحيدة وتقول في سرها لأدعها .. انها يتيمة ومحرومة .. تركت الفتاة اللحاف جانبا وخلعت ثوبها الاصفر الخفيف وارتدت تنورتها السوداء ثم ادخلت بلوزتها السوداء في رأسها وذهبت لحنفية الماء ولما عادت اتجهت للمرآة الملصقة في الجدار الاصفر وبدأت تمشط شعرها حتى انسدل على كتفها كانت نظراتها غير مركزة او مقتصرة على شعرها المنسدل ثم بدأت تركز وتدقق في نظرها .. هل هي مقبولة كفتاة وهل جسمها يثير الانتباه بالنسبة لزميلاتها وتذكرت زميلة لها تعتني عناية كثيرة بصدرها حتى كثيرا ما كانت تحشوه بالقطن اما هي فلا داعي لان تحشوه وتطلعت لصدرها فوجدته نافرا الى الامام والثديان منتفخان كتفاحتين فابتسمت في سرها ثم دعكت خديها بدهان ابيض وهي فاترة الهمة لقد راعها شحوب وجهها ولكنها لم تأبه اذا وعزت ذلك الى قلقها .. انها جديدة وغير معتادة على شيء ولم تفكر في يوم ما انها ستضطر لمزاولة عمل ما لماذا ووالدها يدب على هذه الارض وتسري في عروقه دماء الحياة وحينما جفت ونضب الينبوع نضبت ينابيع كثيرة في حياتها وتدفقت آخر غزيرة ، اليأس .. العوز .. القلق ، هذه الينابيع الجديدة بدأت تسكب مرارتها فوجدت ارضا بكرا حتى ثارت احاسيسها وكأي فتاة تصطدم وتتعثر ولم تنطلق تكورت على نفسها ولكن ما بها من حيوية دافقة ولا مبالاة خفف عنها بعض الشيء وراحت تسعى لكي لا تصاب بالعوز والفاقة هي وامها العجوز ولم لا والكل يعملون فهذه جارتهم المطلقة الكبيرة السن تعمل وتكسب عيشها ... وذهبت لجارتهم واخبرتها عن عزمها الجديد وهي مكرهة ، وفي اليوم التالي اخذتها الامرأة معها . كان الوقت فجرا ومصابيح الشارع متوهجة بقوة واشباح لرجال من بعيد تدب مسرعة وفي باب معمل النسيج دق قلبها بعنف وشاب وجهها اصفرار خفيف وارتعشت يدها وجرتها الامرأة ضاحكة وقالت لها .

ـ لا تخافي كلنا كذلك عندما دخلنا المعمل في اول يوم .

ولم تسمع جواب جارتها الامرأة لقد كان ذهنها مشغولا او بالاحرى لم تأبه لاي كلام كانت تقوله الامرأة همس فقط يتردد في سرها انها مجرد عجوز ثرثارة فقط ، وكثيرا ما شعرت بكره لهذه الامرأة وهي

تسير بجانبها او حتى وصل بها الحال الى التقزز .. كانت تتكلم كثيرا والرذاذ يتساقط من فمها .. وشعرها الاسود يخالط لونه البياض وفكرت : ـ لكم اكره ان اصل لهذا العمر وتذكرت الفتاة الصغيرة التي تعرفت عليها لقد قدمتها لها زميلة قديمة وكانت تتهامس بكلام وتضحك والفتاة الصغيرة موردة الخدين وودت آنذاك لو تقرص هذه الصغيرة البيضاء من خدها المنتفخ الاحمر ولكنها لم تفعل وطمأنت نفسها .. ستره‍ا غدا او بعد غد ، اما الان فان ارتباطها بهذا العمل سيحول بينها وبين مصادقة هذه الفتاة ثم هنا عالم آخر جديد لم تألفه وستجد فتيات كثيرات في هذا المعمل وستزامل الكثيرات منهن ولن يصبها الملل .

ودخلت المعمل وهناك قابلت المسئولين وسجل اسمها وكان اول يومها وكحدث جديد يكتنف حياتها لاول مرة ومجتمع غريب لم تعتد عليه من قبل راحت تتطلع لكل ما حولها ثم سرعان ما اصابها الملل ولف نفسها المقت والضجر لا لكونها جديدة او ستكون ذات مسئولية بيتية او انها ستحرم من مصاحبة زميلاتها الفتيات او ان حريتها تقيدت بعض الشيء ولكن لكونها الفتاة الوحيدة والاولى بين اربع وعشرين امرأة كبيرة .

المصير الأصفر

شعر

زاهي القائد

عندما تنسج أيدي الليل سوداء الخيام

عندما تخرس من حولي ضوضاء الزحام

يتبدى الكون قدامي كاللغز الحرام

ترقص الاسرار والاشباح خلفي وامامي

وأرى نفسي غبيا تافها وسط الظلام !

* * *

عندما تغزل حمى الفكر في رأسي سؤالا

عن منى عمر نقضيه صلاة وابتهالا

عن مصير كيفما مالت به الاقدار مالا

يعلن الدود عن مدفن أجدادي المآلا

راقصا فوق العظام الصفر زهوا واختيالا !

* * *

عندما يسخر من أوهامنا لمع السراب

عندما يختنق الدرب بأسداف الضباب

عندما نقتل في اضلاعنا شوق الرغاب

وخريف اليأس يمشي في لبانات الشباب

يتبدى عبث العمر عذابا في عذاب !

* * *

عندما نحفر للأحباب والأصحاب رمسا

عندما نصنع من احزاننا للموت عرسا

عندما نسلخ من أعمارنا يوما ، ونأسى

عندما نطلع شمسا .. عندما ندفن شمسا

يعبث الدهر .. ونحسو الدمع كأساً ثم كأسا !

* * *

عندما ينتصب المجهول في درب السنين

عندما يلفح وهج الشك أهداب اليقين

عندما يصرخ صوت العقل مسعور الظنون

تزحف العتمة والفوضى على مد العيون

عندها أدرك أني لعبة الحظ اللعين !

* * *

ياصقيع الخيبة الصفراء تمشي في دمائي ..

أي شيء فوق هذي الارض ، في تلك السماء ؟

ما المنى ؟ ما الوعد ؟ ما الآمال ؟ ما شكل العزاء ؟

أي شيء في مدى الابعاد غير الانطفاء ؟

عبثا .. ما الدهر الا فن دعابات الغناء !

درعا – زاهي القائد

اغنية الى غريبة

شعر: سهيل عجي

عمرنا حزن ،
وأحلام كئيبة
وليالينا الرتيبة
ملل يأكل منا !
ودنى رملية الوجه كئيبة ،
والقناديل الشحيحة ،
القناديل التي كانت ،
تضيء الدرب للآفاق ...
للدنيا الفسيحة .
غارت الشعلة فيها ،
فمللنا !..
وجلسنا !..
نحرق الصمت ... بصمت
ونغني للفراغ
ونناجيه
بأحلام خجوله
هي احلام طفولة
يا فراغ !
أيها الحزن الذي يقرع بابي
ايها الحزن الذي يأكل مني ،
من شبابي !
ايها الحزن الذي يأكل هدبي
وشراييني وقلبي
ايها الحزن الذي يملأ ذاتي
وحياتي
انت يا كل حياتي

وصلاتي !
أيها الحزن الجميل
أيها الليل الذي ليس يزول
أيها الليل الذي يخنق فجري
وأماني وعمري
انت يا سر حياتي
انت يا مؤنس دربي
يا رفيقي
لك كرست وجودي
وعروقي
لك أحرقت شموعي
لك أهرقت دموعي
وبكيت ...
وعلى اقدامك السمر
ارتميت ...
ارتميت
ضارعا أرنو اليك
وأصلي ،
لك انت
ايها الحزن الرفيق !
انت يا الخافت في صدري
أماني الحبيبة !
انت يا المطفيء عمري
في لهيب البعد ،
في دنيا غريبة !...

سهيل عجي – دمشق



مع شيخ الصحافة السورية الاستاذ عمر الطيبي

بقلم : صلاح الدين موسى

الاستاذ عمر الطيبي ، قل من لا يعرفه بين العاملين في مضمار الصحافة والأدب والتاريخ ، وقد عاصر الصحافة منذ مطلع هذا القرن ، واشترك في تحديد الاعداد الاولى من امهات الصحف السورية والعربية .. وله جولات موفقة في ميادين النقد الاجتماعي والتحقيق الصحفي الدقيق كما انه يعتبر من مؤرخي تاريخ سورية ، ورجال التشريع الاسلامي .

وقد رأيت من واجبي كقارىء - يعرف الاستاذ الطيبي من خلال مقالاته وكتبه - أن أمضي دقائق معه .. اتحدث اليه فيها عن كتبه الجديدة وانقل لقراء الثقافة بعضا مما جاء فيها :

رأيته في الندي يقرأ في كراسة امامه ، وما كاد يراني حتى انثنى واقفا وقال : جئت في وقتك .. هذه صفحات من كتاب جديد بدأت في كتابته .. وكان هذا الكتاب في التاريخ العربي ، وأضاف الاستاذ الطيبي قائلا : انه كتاب تاريخي يتحدث عن حقائق عشتها وعاصرت أبطالها ... وسأحاول ان يكون معدا للطبع ان شاء الله ...

قلت : وما هي آخر مؤلفاتك .

فأخرج الاستاذ من محفظته ثلاثة كتب دفعها الي قائلا : هذا أحدث ما ألفت وارجو ان تنال موافقة القراء ورضاهم ...

وكانت هذه الكتب هي : ١ أربعون أصلا من أصول التربية الاسلامية ٢ - مفاسد الامبرطورية البريطانية ٣ - قورش لا يمت الى ذي القرنين بصلة »

فشكرت الاستاذ عمر على هديته .. وودعته .. لالتقي معه ومع القراء في حديث خاطف عن هذه الكتب الثلاثة ...

١ - قورش لا يمت الى ذي القرنين بصلة :

كتاب في دراسة الكتب والاشعار القديمة ...

جاء في مقدمة الكتاب : « فرأيت خدمة للاسلام وللتاريخ الاسلامي وحذرا من ان يستفحل اعداء الله من يهود وغيرهم ما كتب عن ذي القرنين بعد أن

اعترفت دولة ايران باسرائيل وبعد أن رزق الشاه ولي عهد قالت صحف غربية وشرقية انه اسماه (قورشا) فتحدثت عن قورش الذي خدم بني اسرائيل عبرالتاريخ مذكرا بما كتبت عنه في صحيفة دمشقية وفي مجلة الازهر ورأيت ان أضع كتابا الخص فيه ما قاله مولانا أبو الكلام عن « قورش » وأنشر مقال الاستاذ نور الحق وردي عليه وأتوسع بالرد فأضع بين يدي القراء دراسة موجزة عن أسفار التوراة وأسفار العهد القديم المتداولة اليوم وأذكر المسلمين بأن الاسلام لا يجيز الاخذ من أسفار التوراة وأسفار العهدين فضلا عن أن يفسر القرآن الكريم بما جاء فيهما كما رأى أبو الكلام وأن أنقل بعض ما قاله الذين يدينون بالتوراة وبأسفار العهد القديم بهما .

واسميت ردي هذا « قورش لا يمت الى ذي القرنين بصلة » والكتاب في (٣٠٠) صفحة من القطع المتوسط ، وقد عالج مؤلفه باسلوبه الممتع موضوعا تاريخيا كثرت حوله الاقاويل هو حقيقة الاسكندر ذي القرنين واشار الى الادلة التاريخية التي تثبت بطلان حجج اليهود بأنه هو نفسه قورش الذي خدم بني اسرائيل عبر التاريخ واعادهم الى فلسطين ..

وقد لخص المؤلف بحثه بقوله : « والحاصل ان المفسرين لم يصلوا الى نتيجة مقنعة في بحثهم عن ذي القرنين ، القدماء لم يحاولوا التحقيق والمتأخرون حاولوه ولكن كان نصيبهم الفشل ولا عجب فالطريق الذي سلكه المفسرون كان طريقا خاطئا .. وكان لائقا بالباحثين ان يرجعوا الى اسفار اليهود وليبحثوا هل فيها شيء يلقي الضوء على شخصية ذي القرنين .. انهم لو فعلوا ذلك لفازوا بالحقيقة .

والكتاب قيم لما فيه دحض لمفتريات اليهود على الحقائق . كما فيه وقائع تدين اليهود بالاجرام وسفك الدماء وانهم كانوا ولا يزالوان من شذاذ الافاق وطريدي البشرية ..

٢ ـ مفاسد الامبراطورية البريطانية :

هذا الكتاب يقع في (١٨٠) صفحة ـ من القطع المتوسط وهو كما يشير اليه عنوانه ـ بحث تاريخي عن الامبراطورية البريطانية ـ على ضوء ما اقترفته من جرائم في حق الوطن العربي . وقد جاء في مقدمة الكتاب :

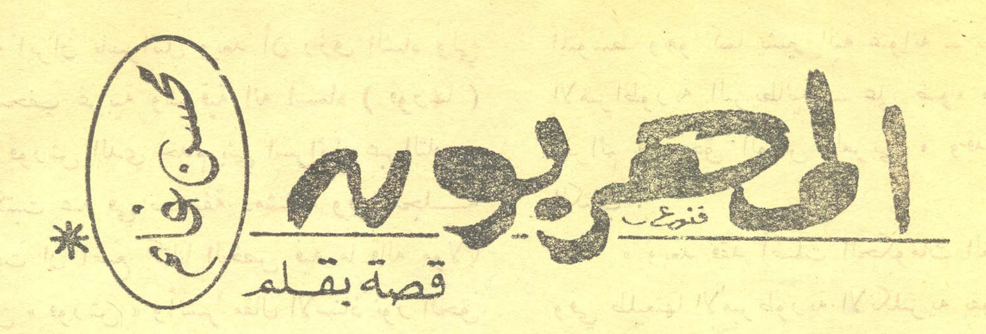
« وبعد فقد أضلت الحكومات الغربية الاجنبية وفي طليعتها الامبراطورية الانكليزية بقول الزور وشهادة الزور فريقا من العرب واستأجرت فريقا من المسلمين الجغرافيين الشعوبيين فشهدوا لها شهادة الزور وقالوا بها قول الزور الذي تريده في حين انها اول من كاد للاسلام وللمسلمين وللعرب وللعروبة من دول الغرب وكان اهم مفاسدها وابرز عدائها كارثة فلسطين ومحاولة اقامة دولة اسرائيلية فيها فرأيت الواجب يتقاضاني أن أنبه المأخوذين بها برسالة على أن أتبعها بأخرى عن مفاسد الجمهورية الافرنسية فبثالثة عن مفاسد الحكومة الايطالية واسميت رسالتي هذه « مفاسد الامبراطورية الانكليزية » .

والكتاب سجل حافل بالمفاسد البريطانية ، سواء منها ما يتعلق بخارج بريطانيا او ما يتعلق منها بداخل بريطانيا ..

اذ بعد أن أسهب المؤلف في الحديث عن مؤامرات بريطانيا في البلاد التي كانت تستعمرها ولا سيما البلاد العربية كفلسطين وعدن والعراق ومصر ... شرع في الحديث عن المفاسد الخلقية في بريطانيا نفسها ، باسلوب جذاب مقترن بالارقام والوقائع ...

٣ ـ اما الكتاب الثالث فهو : « اربعون أصلا من أصول التربية الاسلامية والتشريع الاسلامي .. »

ويظهر أن هذا الكتاب آخر ما اصدره المؤلف من كتب ، وقد قدمه مؤلفه بقوله : « وبعد فهذه أربعون أصلا من أصول التربية الاسلامية مأخوذة من القرآن الكريم ومن الحديث النبوي ، جمعتها بعد أن مضى على الكيد للاسلام وللتربية الاسلامية عصور وبعد أن اتخذ كثير من المسلمين القرآن مهجورا وأخذوا من التربية الغربية قشورها ومفاسدها وفي حين تتبارى دول اسلامية [illegible] بوضع دساتيرها .. جمعتها رجاء



ثلاث سنين مضت على تركي امتهاني تهريب التبغ • كنت اشتريه من المزارعين في مختلف قرى اللاذقية حيث تنمو اجود اصنافه المرغوبة ، وانقله بشتى الطرق والوسائل الى حماه مرة والى حلب غالبا ، وخلال هذه الفترة خبرت اسرار مهنتي ووسائلها وعرفت دقائقها وحيل المهربين وطرقهم في التواري عن الانظار • عرفت المهربين من المزارعين والتجار والمستهلكين •

وربما كنت لا ازال مهربا رغم الحلة الزرقاء التي ارتديها فأنا افكر بنفس الكيفية واتبع ذات الخطط بل واسلك عين الطرق واكشف المخابيء التي كنت احرص انسان على بقائها خفية لا تعرف منيعة لا تدرك ، فأنا مهرب بشكل معكوس ، تنكرت لابناء مهنتي وبعت نفسي لاعدائي ، فهل اغراني المرتب الضئيل ام الشريط القماشي المعلق على ذراعي ؟

كان مدير المؤسسة ذكيا عندما استطاع شرائي مدركا ان لا مجال لنجاح سياسة ما في هذا الخصوص غير اطلاق اللص وراء اللص ، وقد قمت بما كان يؤمل مني القيام به ، فأنا للحوادث الصعبة والقرى العريقة في هذه الصناعة • لم اعد قط خاسرا ، اذ كيف اعرف الفشل وانا المعلم الاول والاستاذ المختص بفنون التهريب كلها •

شكلت فرقتي كما احب وانتقيت لها الرجال الذين يرضى عنهم مزاجي ، وأراهم اهلا لمرافقتي في اقتفاء اثر كل من تخول له نفسه ان يبيع كيلو غراما واحدا لغير الشركة التي اشترت حق حصر الاتجار به منذ زمن بعيد •

تلك الخواطر كلها طرقت ذهني وسيارة (الجيب) تئن في سيرها الحثيث القلق فوق طريق وعر يتلوى في ارض حجيرة مزروعة بالهضاب والوديان والصخور نحو قرية مجهولة اشتممنا فيها رائحة التبغ المهرب •

اخفينا السيارة في منعطف بعيد عن القرية ، وبدأت اشرح لمرؤوسي خطة محاصرة البيت الذي

ان يفيد من مطالعتها الذين يعهد اليهم بوضع الدساتير واسميتها « أربعون أصلا من أصول التربية الاسلامية والتشريع الاسلامي وأرجو أن أتمكن بفضل الله ورحمته من جمع أربعين أصلا من أصول الآداب الاسلامية • والله المسؤول أن يرد المسلمين الى الحمل بدينه » •

والكتاب عبارة عن رسالة صغيرة في (١٠٥) صفحات من القطع المتوسط الى أربعين بابا سمى كل باب منها أصلا ••• ومن هذه الاصول : الاسلام والايمان والاحسان ، القرآن والحديث مصدر التشريع » الدين يسير ولن يشاد الدين احد الا غلبه » « فان تنازعتم في شيء ـ النفاق والمنافقون » « وامرهم شورى بينهم » •

وقد اعتمد المؤلف على ايراد النصوص القرآنية والاحاديث الشريفة فقط في هذه الاصول الاربعين ••

وكان بذلك أول من فتح الطريق امام المشرعين وواضعي القوانين • »

هذه كلمة قصيرة عن شيخ صحافتنا السورية الاستاذ عمر الطيبي امد الله في حياته ، وعن آخر مؤلفاته • آملا ان اكون بذلك قد أديت شيئا من واجبي تجاه هذا الجندي المجهول والمجاهد الصامت •

والله ولي التوفيق •

دمشق ـ صلاح الدين موسى

بغيه حيث يخبأ كيسان كبيران من التبغ الجيد • وكانت الاوصاف التي زودنا بها المخبر دقيقة وواضحة فتفرقنا كل في اتجاه لنلتقي حول البيت في حلقة ولنقطع على المهربين كل امل في التواري او اخراج التبغ عندما يعلمون بوجودنا •

تقدمنا بين بيوت القرية ، فاذا هي مبنية بالحجارة والطين مجموعات متفرقة هنا وهناك في كل اتجاه دونما غاية او ترتيب ، ولكن ابوابها كانت تتجه دائما نحو الغرب الى البحر • واستقبلنا كلاب القرية بنباح متواصل سرعان ما تنوقل من حي الى حي فأطلت الرؤوس من الابواب وعلى اسطحة المنازل مستغربة متوجسة ووقف الاطفال جماعات على هامش الدرب يسلقوننا بنظرة عدائية متوعدة ، وسمعت أكثر من همس يدعو الله ان نعود بخفي حنين وان يعمي ابصارنا عن رؤية ورقة واحدة من التبغ المهرب •

واخيرا احطنا البيت المقصود احاطة السوار بالمعصم ، وبعد ان كونت نطاقا للحراسة وارسلت رجلا فاعتلى السطح ليراقب من يخرج او يدنو ، ثم تقدمت وكلي ثقة بأن التبغ قد أصبح تحت يدي فعم الهرج من في الدار وعلا نقيق الدجاج وبكاء الاطفال ، واخيرا خرج صاحب البيت فاذا هو رجل يرتدي لباسا عربيا تقليديا ، عليه سيماء الوقار •

ـ اهلا وسهلا تفضل بالدخول •

ـ شكرا ، انا اقوم بعمل رسمي ، ففي هذا البيت كمية من التبغ المهرب سنستولي عليها وننظم الضبط القانوني بالمخالفة •

فابتسم غير مكترث وقال :

ـ الا تتفضل بالاستراحة وتناول قدح من القهوة ؟ علما بأنني لا أحرز اي تبغ مهرب أو أي شيء آخر ممنوع الاقتناء •

ـ آسف اذ سنضطر الى تفتيش المنزل •

ـ هذا هو البيت (تحت امرك) •

وتقدمت نحو مخزن العلف ، فلماذا اللف والدوران ؟ انا اعرف المخبأ الامين ولن اطيل • لكنني ما اقتربت قليلا حتى اندفع رجلان من باب خلفي للخزن يحمل كل منهما كيسا كبيرا وخرجا يجريان في الاتجاه المضاد • فسرعان ما كنا نجري وراءهما ، وبدأت المطاردة •

كانت منطقة وعرة صعبة لا نعرف مسالكها ، ومع ذلك فقد طاردناهما بعنف وبلا هوادة ، وامرت رجالي باطلاق النار عليهما تخويفا فلم يرهبا واستمرا في اندفاعهما يقفزان فوق الحواجز ويجتازان كل سياج ، لا يعيقهما شيء ، يحملان الكيسين الكبيرين مندفعين نحو واد كثيف الاشجار • فأدركت انهما ان سبقانا الى الاشجار فسيتمكنا من التملص من ايدينا بسهولة • عندئذ امرت رجالي بطريق مباشر مختصر الى الوادي ليفاجئوهما ويقطعوا عليهما سبل الاختفاء •

وبكل غباء وقعا في الفخ فلم يشعرا الا وهما وجها لوجه مع رجال المكافحة والبنادق مصوبة الى صدريهما وكنت ومن معي قد اصبحنا وراءهما تماما فأحطنا بهما وتقدمت اليهما وانا الهث اتمنى لو احطمهما ولكن يا لعجبي لقد وضعا الكيسين على الارض بلا مبالاة وقالا : بأي حق تعترض سبيلنا ايها السيد ؟ ولماذا تركض انت ورجالك وراءنا حتى اخفتنا ؟

فأشرت الى الرجال بالقبض عليهما ، وتقدمت نحو الكيسين العتيدين اجسهما ، وما كدت افعل حتى انتفضت كمن اصيب بمس • لقد كانا كيسين من (التبن) لا غير •

ونظرت نحو القرية فاذا نحن على مسيرة اكثر من نصف ساعة عنها ••!!

محسن غانم ـ دمشق



سحر الغوايات في عينيك صيرني ... فوق المرامي ؛ على الاجفان ؛ ترديدا
وحي العيون اذا اخضلت مفاتنها ... أضفت على النفس اوهاما ؛ وتجريدا
ولفتة الجيد ؛ ان مالت على شفق ... أدمت فؤادي على الكفران توحيدا

* * *

يا خصلة الشعر في وعيي بنفسجة ... صفو الشحارير يسقيها اغاريدا
وخضرة العين أبعاد منمقة ... حلف الغيوم التي تهمي مواعيدا
يا فطرة الحسن في ذاتي كما اشتعلت ... أوزار قلبي على صمتي اناشيدا
يا خمرة الوجد ؛ اسلمت السلاف الى ... حلو العيون ـ على ذعري ـ عناقيدا

*

يا نغمة الصوت اصداء ملونة ... تذيب من رقة في نشوتي غيدا
للحسن يا برزخ المعنى مواسمنا ... وللغوايات ؛ كان الشعر تمهيدا
لولا الصبابات ؛ والاحلام مترفة ... ما زينت حلوة للمشتهى جيدا

حمص ـ عبد الكريم الناعم



يا صباح الورد يا غاليتي ... أورق الطيب على نافذتي ..
لا تردي الباب خوفا ، بل قفي ... واتركيني غارقا في نشوتي !.
ودعيني أرسم الوجه الذي ... حرك الاشواق في أوردتي
لو تمهلت قليلا .. علني ... أحمل البشرى الى صومعتي
صدفة كان اللقاء المشتهى ... آه ما اكرمها من صدفة !..
من تكونين ؟.. فاني حائر ... أسأل الاقمار عن ملهمتي ..
أي حلم انت خمري الشذى ... مر كالنعمى مثيرا لهفتي ؟
أي اعصار هوى مندفع ... بقذف الاغراء في افئدتي ؟
انني أرجوك ان تقتربي ... لأوشي ابلسنى اخيلتي !.
واناجيك بقلب مدنف ... فعسى ان تسمعي اغنيتي
قد ملأت الدرب عطرا ومنى ... ولقد أخرجتني من عزلتي
ياصباح الدفء .. ياوعد الهوى ... أنت أدرى بالذي في مهجتي
من حنين ورجاء وجوى ... فاحمل الطيب الى ملهمتي !..

سلميه ـ توفيق عادله

فاتك القطار

قصة بقلم: فوزي فدور

ان الذي يقنع من الدنيا بالنهايات الصغـــرى تبخل عليه الدنيا بكل شيء

(٠٠٠)

٠٠٠٠٠ وتابعت سيري على غير هدى في شارع المعرض الممتد وكانت لا تزال تمر من امامي جموع الشباب والشابات من الطلبة وقد ارتدوا زيا خاصا بهم وكتب على ظهورهم اسم الجامعة التي ينتمون اليها ٠ اذن فهم طلاب جامعات ٠ كانوا يقطرون نشاطا وحيوية ويترنمون بالاحاديث الشيقة عن المهرجان والمدينـــة في اسبوع شباب الجامعات ٠٠

بقيت في سيري هذا حتى ابتعدت عن النـــاس وكانت قد تلاشت من أمامي جموع الطلاب ٠ جلست على مقعد خشبي حذاء جدار الحديقة العامة وسرحت في خيالي بعيدا وأخذني شرود ، كأن شريطا مـــن الصور المتحركة كان يمر أمامي فلا أكاد احقق واحدة منها ٠ كانت صور مهزوزة لآمال منصرمة ولمستقبل ضائع ٠ تذكرت اللحظة الفاصلة في تاريخ حيـــاتي وانتابني شعور غريب وترغرغت في عيني دمعة وتنهدت ولم أفه ٠٠٠٠ كل شيء يمكن أن ينساه الانســـان الا الاشياء التي تكون سببا في سعادته او في تعاسته على السواء ـ فانها لا تلبث تتمثل له في كل مناسبة ٠

كان السبب عصيبا ـ كما قال مدير المدرســـة آنذاك ـ بحيث لا يستطيع حله هو ٠ هل يمكنه أن ينساه أو يتغاضى عنه ؟٠٠٠ خمسة عشر ليرة ٠ لابد ان تجمع من كل طالب في آخر الشهر حتى يسير التعليم حسب النموذج المنتظم والمنهاج المرســـوم ٠ لا بد ٠٠٠ وكان ذلك وللطبيعة أو كما يقولون للقدر ارادة وقد كانت ارادة هذا القدر ان نكون فقراء وهنا تكمن المأساة وتنطوي معالم التعاسة والفشل ٠٠ دخلت المدرسة وكنت في مقدمة زملائي في الصفوف الاولى كنت أتعلم حبا في العلم ورغبة في تغير الاوضاع ٠

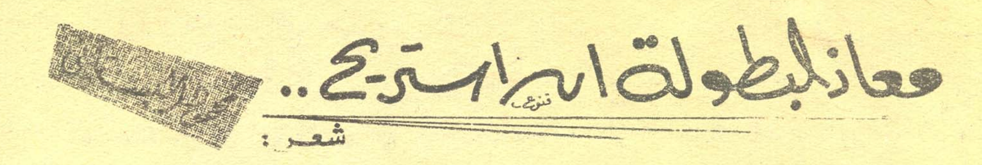
وكانت تتزاحم الاحـــلام في رأسي وكنت أرسم لمستقبلي طريقا عظيما وشخصية محببة وكنت أحلـــم بمركز مرموق في هذا المجتمع ولكن ؟٠٠٠ عدت الى أبي أبكي المشكلة وابسطها بين يديه عله يستطيع الى حلها سبيلا ٠ وفكر أبي طويلا وانتظرت ٠ حـــاول أبي في اليوم التالي ان يستدين ولكن من يدفع لرجل شيخ عاطل عن العمل مبلغ من المال على سبيل الدين ٠ قال لي أبي ما العمل انني عجزت في البحث عن هذا المبلغ واذا كان لا بـــد من ذلك فمـــا عليك الا ان تـ ٠٠ بيـ ٠٠٠ ـــع ٠ ووضعت يدي على فمه دون شعور كأنني استوقفه الحديث قلت له ٠ هل أبيـــع الخزانة التي ألملم فيها كتبي وبعضا من ثيابنا ؟٠٠٠ لا ٠٠ لن أفعل ذلك مهما كان الثمن ٠ وأطرق أبي مستغرقا في صمته واستطردت حديثي في تهكم خفي تـــكاد تحتبس الكلمات خلاله ٠٠ هل تعتقد أن ذلك ممكن ثم هل تظن أن ثمنها يسد هذه الحاجة ٠ انك رجل طيب ٠ بل انك تتفـــانى في الطيب وانتصرت ارادة القدر الضاحك تركت المدرسة على مضض وفي قلبي تنصرع بقايا الاحلام وقصاصات من صور المستقبـــل الموهوم والمركـــز المرموق ٠٠٠٠ ومرت بي فتـــرة البطالة كان اقسى على النفس من احتمـــال الموت او استقباله ولم تكن مشكلة الحصول على العمـــل ٠ ـ أي عمل ـ ٠ أيسر من أيجاد القسط فقد بقيت مدة من الزمن أحس ثقل نفسي حتى أنني تمنيت الموت مرارا تخلصا من حياة الفاقة كما كانت تنتابني الهواجس والافكار المضطربة التي تحمل الى الحنين الى العودة الغير ممكنة وتوجب علي التفاني في ايجـــاد العمل للنهوض بشأن هذه الاسرة الشقية التي تلفني والمؤلفة من أبي وأمي وأربعة أطفال يريدون هم الآخرون من ينظر في قضيـــة معيشتهم ومستقبلهم ولا أدري كيف

تطوينا الايام ويمضي بنا الزمن فينسينا مأساتنا بعض الشيء فنرضى بما نحن فيه ونقنع بالواقع حتى ولو كان مرا وهذا شأنه في غالب الاحيان ...

انقضت أيام عديدة وأنا تائه في أمري كسفينة فقدت ربانها وبحارتها واخذت تتلاعب بها الريح بعد أن قذفت بها الامواج بعيدا عن الشاطيء ، ثم وجدت عملا ما ولم يعجبني العمل بالطبع لانني فوجئت بأشياء .. لم أكن أتوقعها ولم تمر بي من قبل وأخذت أنتقل من عمل لآخر الى أن استقريت في وظيفة وفرها لي ما تعلمته في المدرسة .... وامتد بي الخيال حتى أشرفت الشمس على المغيب وانتشرت مع الافق خيوط ذهبية متناثرة خلفتها الشمس الراحلة وانتفضت على حين غرة واستلتني من موقفي هذا قشعريرة فأحسست برودة الجو وحملت نفسي وعدت بخطى رتيبة متثاقلة في نفس الشارع العامر بشباب العلم والنور .. واستعادني الشرود مرة اخرى وكأنما جذبني اليه شعوري بالنقص وبالحظ العاسر فحاولت ان اهرب من دنيا الواقع المعذب الى دنيا الخيال علني أجد فيها العزاء والسلوى .. لو أنني تابعت الدراسة اذا لكنت بينهم ولاصبح وجه حياتي على غير هذه الصورة القاتمة . ان مجرد مرور هذا الخاطر في ذهني يعتبر ضربا من المحال .. على أنني لا أدري لماذا تشبثت عيناي بهذا المنظر الساحر . ربما لأنه يعيد الى الذهن ذكريات الطفولة السعيدة التي كنت أنعم بها على مقاعد الدراسة .. آه .. ما أجمل تلك الايام وما أهنأ تلك المقاعد .. ولكن الى متى يمتد بي الخيال وتحملني أجنحة الذكرى الى العالم المنشود انها تتبدد وتضمحل حالما أوقن أن الذكرى لا تؤدي نتيجة ملموسة وان الخيال لا يطعم خبزا .. فلماذا أستسلم لاوهامي وانساق في تياراتها المتضاربة . حتى توصلني الى لا نتيجة . فأتحسس حواف الخيبة وتصدمني المفاجأة فأتراجع بذل وخذلان الى حقيقتي وواقعي المحتوم .. وخيل الي ان عيونا كثيرة تحدق بي وانا في موقفي هذا فانتفضت وواصلت المسير بخطى سريعة بين زحام الناس كما يسير سارق يريد ان يختفي بسرعة عن الانظار خشية ان يفتضح أمره وتقع الواقعة . وبينما أنا في هذا الصراع النفسي العنيف وثب الى رأسي خاطر رهيب حاولت أن أنكره والا أسلم بوجوده ... هو أنني سمعت صوتا صارخا ينطلق من أفواه هؤلاء القوم يردد عبارة مؤلمة تندى على أثرها العين بدمعة من دم . وينفتح على وقعها في القلب جرح قديم ... اذهب فقد فاتك القطار ... وفي صميم هذا الخضم الهائل من الافكار السوداء .. سرت أطوي المسافة الى أن وجدت نفسي فجأة امام مكتبة - الخطاب - وحييت الرجل المسن وسألته عن الكتب المقررة واعطاني ما أريد - وكانت كتب مستعملة - فأخذتها وتوجهت شطر البيت وقد غمرني احساس دافق بالحماس وشعرت بأنني سوف أمضغ هذه الكتب جميعها بأيام معدودة لاعوض ما فاتني .. عندما تخلفت عن الركب لأحدد فيما بعد مكاني بين الناس ولاتبين عن كثب مواطيء اقدامي . لانتهي من ضياعي الذي دام طويلا . وما كان ليجب ان يدوم ..... - .....

ولم أقدر في حياتي سعادة كتلك التي شعرت بها حينما كان بصري يقع على اسمي في الجريدة بين اسماء الناجحين .... وثمة شيء لا زلت اذكره .. دموع امي يوم كانت تبكي فشلي في المرات السابقة وكذلك دموعها يوم علمت بنبأ نجاحي - على اختلاف مغزاها في الحالتين - لقد استطاعت دموع هذه المرأة ان تغسل عذاب ايامي في الماضي . استطاعت ان تنسيني كل شيء عن الفشل وعن الخيبة كما جعلتني انظر من جديد الى الحياة بعينين مشرقتين كأنهما لم تريا النور من قبل ...

فوزي قدور - حمص



كان في حشرجته الاخيرة .. رهج التراب في فمه .. دخان المعركة في خيشومه ... وشظايا الرصاص ملء حناياه .. وبالقرب منه يتجمع أولاده .. ليتزودوا بالنظرة الاخيرة لوجه الوالد المناضل في معركة البطولة .. عبر (الجزائر) المجاهدة .. وفي لحظات ينفرج فمه ليودع أولاده بهذه السطور ...

... الى الابطال المجاهدين في الجزائر البطلة

سأمضي !! وعيناي تستطلعان أفاويق ، في سمة الارجوان ....

أفاويق ، ... يرتادها الطيبون ، ... وتشرب الوانها المقلتان ....

كسرب الفراشات ، ... عند الحقول ، .. ترف على شفة الاقحوان ....

لتنهل منها ، .. رحيق الحياة ، فيخضر بالخصب ، جدب الزمان ....

كجوع الثغور ، الى المسكرات ، ... تشهينها ، في مطاف العيان ....

فأدنين منها ... وميلاد جوع جديد ، .. يطالعها ... كل آن ....

.. سأمضي !! وشعبي ، كسرب الفراش، .. كجوع الثغور ، .. لخفق الامان ....

• • •

سأمضي ! وعيناي ، تستشرفان وميض الخلود ، .. كلون الامان ....

كأنبل امنية ، .. في الحياة ، تلاوينها .. من عبير الحنان ....

.. أزيز (الرصاص) .. هتافاته على مسمعي .. أحب الاغان ....

وملء فمي (رهج) ، .. احتسيه ، كأشهى اللذائذ ، عبر الخوان ....

وكالعطر .. عند ارتماء النسيم ، .. ترنحني .. سحبات (الدخان) ....

معاذ البطولة ، .. أن استريح ... ورفي ، .. بقايا ، بهذا المكان ....

أحس تهاويل ايامها ... تهاون علي .. كوجه الحسان ....

ومجلى بيارقها الراعشات ، .. كألطاف أجسادهن اللدان ....

معاذ البطولة ، .. ان استريح ، .. ولم أنغمس ، في قرار الكيان ....

دمي .. لبنات ، بهذا الكيان فهلا ، ببقيادماكم ، يصان ؟!!....

• • •

سـأمضي !! وفي قبضتي الخـلود ... يدغدغني ، ... بنثـار الحنان ....

أنا هادر ، .. لم امت .. انمـا يموت الهجين ، ويفنى الجبان ....

.. أحس بقـاياي ، .. أثرى عطاء .. أجود ، بما فيه ، ... لن يستهان ....

سأشـعل ، حتى قضـائي الاخـير ، .. بأنفـاس اصراري المستبـان ....

لعـل ارتعاشـا .. يموج الاثـير .. بايماضها العـربي اللسـان ....

يمد رفاقي ، .. بزيت الكفاح المظفر ، ... عبـر التحام الرهـان ....

.. ليولد معنى ، جـديد العطاء ، يضاف الى مشرقـان المعان ....

● ● ●

سأمضي !! وأفكـاري الرائعـات ينابيع ، تجري ، بكل المغان ....

ستشرب منها ،.. عروق الكفـاح فيخضل عقد ، ويزهى جمان ....

وتلتفت أفيـائهـا الـوارفات على ثمر ،... يجتليه الاوان ....

ويمتـد (عوسجها) ، حاصـدا هوان الليالي ،.. وليل الهوان !!..

● ● ●

سأمضي !! وملئي ، زئير الحيـاة يشق الليالي .. كصوت الاذان ....

فلا تنصبوا مأتما ....!! انمـا ... أقيموا ، بكل حشا ، مهرجان ....

ولا تجفلوا ، عنـد قبـر الشهيد حرام،.. على دمعة ... أن تهان....

بلى !! رنمـوا ، دمدمات الكفـاح وصبوا النشيد .. لظى،لا،يلان ...

غدا ... واحملوا ، لي ، أضمامـة من الزهر ... تأرج بالعنفوان ....

وحطوا بهاء .. عنـد قبر الشهيد أكاليل ، تضفرها ، راحتان ....

توهـج منهـا ، معـان مشت لكل رموز العلى ، .. ترجمان ....

بلى !! سـوف يروى حديث الكفـاح ،ويروى ، ... وتروى حكايا الزمان ....

النجف الاشرف : محمود البستاني

قصائد من الصين

تعريب : نويل عبد الاحد

- ١ -

نسيم النهر حثني على الغناء
وقمر الجبل أغراني على الشراب
فألفيت نفسي نائما في ذهول
قرب الازهار
ملتحفا السماء
ومتخذا التراب وسادة لرأسي ..

- ٢ -

رفاق من هؤلاء من يجلسون
قرب النافذة المضاءة ؟
نفسي وظلي ـ كلانا ..

* * *

عندما يحتضر ضوء المصباح
ويحين وقت النوم
يهرب مني حتى ظلي ..
ويختفي عني ..

* *

ساعتئذ .. كم شقيا اكون ..
بعدما افترقنا

لم أدر ان كان قريبا مني
أو بعيدا عني ..
كل ما تصادفه العينان .. كئيب وقاس ..

* *

يسافر حبيبي ببطء .. وينأى
وثقل رسائله شيئا فشيئا

* *

هائلة المياه وكثيرة ..
في الاعماق .. يسبح السمك ..
فأنى لي أن أطلبه !!

* * *

في عمق الليل
تعزف الريح بالاشتراك مع عيدان الخيزران
موسيقى الخريف
وتنوح آلاف الاوراق الميته
مع النشيد
فأسعى وراء أحلامي
ابحث عنها تحت الوسادة ..
لكن أنى لي ان أجدها
والمصباح يذوي ..

عمان : نويل عبد الاحد

رسالة من الاردن

بقلم : نويل عبد الاحد

عظمة الامة ، اية امة ، انما تقاس بما وصلت اليه من رقي في فنونها وآدابها ..

فبشرى — قرية لبنان المستكينة ، الملقاة كحصاة ، في طرف ناء من اطراف المعمورة — هل قدر لها أن تغزو العالم بشهرتها ... ان تغدو مزارا ومحجا .. أن تخلد كغيرها من المدن العظيمة .. وأخيرا ان تقدس .. لو انها لم تفلت — بطريق الصدفة أو عن عمد — واحدا عرف باسم جبران ، ذاك الذي راح يمد العالم بأفضل ما تجود به قريحة من أدب وشعر وبأروع وأجمل ما تخط به ريشة مرهفة من رسوم هي والفلسفة صنوان ..

فمن أجل رقي أفضل ..

ولاجل صقل مواهب جديدة وابراز براعم غضة ، فكر فريق مثقف في عمان .. (هم الاساتذة التالية اسماؤهم — مع الاحتفاظ بالالقاب —) : —

ابراهيم القطان ، شوكت المفتي ، احمد النابلسي ، محمد أبو لغد ، عمر غزال ، عوني الدجاني ، أحمد أبو قورة ، مهنا الدرة ، فاروق شرايحه ، كليما نص سوداح ، راتب وزني ، وداد بولص ، سعاد الحسيني ، غره طنوس السعيد ، عبد الوهاب المجالي ، أمين يونس الحسيني ، حسني فريز ، حسني سيدو الكردي ، عبد الرحمن أبو رباح ، زهير المفتي ، بهاء الدين باط ، علي خريس ، عمران الاشهب ، فخري اباظة ، غالب بركات ، خالد حمودة ، مصطفى الزين ، فتحي سلطان ، سيف الدين الكيلاني ، امين مجج ، يوسف ذهني ، زيد حمزة واحسان الداغستاني ..

في انشاء رابطة تهدف الى :

ا) رفع المستوى الادبي والفني والاجتماعي والثقافي .

ب) احياء الفنون الشعبية وتطورها وبعث التراث الاول .

ج) تقديم المسرحيات واقامة الحفلات الموسيقية والفنية المنوعة

د) تشجيع الفرق الشعبية العاملة في الاردن ..

هـ) المساهمة في تقديم البرامج الفنية والادبية في الاذاعة والتلفزيون .

و) المساهمة في اقامة مهرجانات فنية في الاماكن الاثرية بغية تنشيط السياحة وتعريف السياح على فنوننا الشعبية الاصيلة .

وكان من نتيجة هذا الزرع المبارك ... محصوله المفيد .. اقامة أول معرض ضخم لرسوم فناني وفنانات الاردن .. وقد افتتح المعرض دولة رئيس الوزراء واشترك فيه كل من الفنانات والفنانين :

حاتم غنيم وسهيل كيالي واحسان ادلبي وهالة فريج وعفاف عرفات وجانيت عبد الاحد وعزيز شاهين ودعد التل وشفيق حداد وسهيلة غزال وجورج اليف وفاطمة حميد والياس صويص ونعيم دهمش والشريفة وجدان ناصر واناهيد وعبد الحميد محمد وحماده العائدي وعبد المجيد محمد وأحمد نعوش وسميحة السوداني وحنا فاضل ودلال الحاج وخالد الجيوسي ومصطفى صبري وعدنان نور الدين وعدنان رشدان .

وكما هو الحال مع الحركة الفنية ، كذلك هو مع الحركة الادبية .. فقد نشطت نشاطا ملحوظا في عمان بفضل بعض ابنائها الخلص الذين يعملون كل ما في وسعهم في سبيل تطوير الادب العربي .. الادب الهادف والعاكس في آن واحد روح عصرنا الحاضر .. في كل ما يمكن أن تحمل من آمال .. وذلك عن طريق اقامة الندوات الشعرية والقصصية وغيرها .. ثم نقل هذه الندوات الى الاذاعة ..

كانت اولى أهم هذه الندوات تلك التي عقدها الشاعر الناقد عبد الرحيم عمر مع عدد من الشعراء هم الاساتذة اسكندر الخوري والدكتور سيف الدين

الكيلاني ونذير العظمة وأمين شنار ..

وقد دعي الناقد الكبير اورخان ميسر خصيصا من دمشق لنقد قصائد الشعراء ..

كان كل من اسكندر الخوري والدكتور سيف الكيلاني يمثل الشعر القديم في حلاوة أوزانه ورنينها وسلاسة تعابيره وقوتها .. بينما مثل الشاعرين المبدعين نذير العظمة وامين شنار ، الشعر العربي الحديث .. فمن قصيدة نذير « ابنتي لينة » التي اهداها لها لبلوغها العامين قال :

لبنتي لينة

امزق قلبي وردا

واصنع من لهب العمر بلدة

لنمضي ونلعب بالارض

في غير أرض

لبنتي لينة

اغنيك يا جوع جيلا شهيدا

وازرع في رحم الارض قمحا

وفي حبة القمح جيشا وفتحا

ومن قصيدة له ثانية بعنوان « أغنية للسفر »

الموت نفي والقبور عتمة أبيدة

وها انا أرفع راية الرحيل

اكفن الجراح بالاصيل

ابحث عن جراحي الجديدة ..

في نقد الاستاذ اورخان لقصائد نذير يقول :

ان الشعر العالمي يتجه اتجاها جديدا ينطلق من الفردية الى الانسانية .. وقد نجد هذه الظاهرة في بعض شعرائنا العرب في بلداننا المختلفة نذكر منهم الدكتور خليل حاوي والشاعر أدونيس اللذان يحاولان الان ان يتجها بالشعر العربي اتجاها انسانيا فيه كل شمول المعرفة وفيه كل شمول الانسانية ..

عرفت الاستاذ نذير منذ سنوات غير قليلة شاعرا غنائيا يغني حياته الفردية واذا به الان يغني الانسان ..

الاستاذ نذير يحاول ان يغني الحياة ذاتها وهو موفق في الحانه .. ان له نظرة شمولية يلقيها على الانسان ويلقيها على الوجود ويلقيها على أحداث الوجود ..

انه يحس بالام الانسان وبصورة خاصة الانسان العربي المعاصر .. غير انه يحاول الهروب من الواقع فيكون هذا الهروب سمفونية رائعة جميلة ذات اصداء .

انه « يسمفن » المأساة – ان صحت التسمية باللغة العربية – انه يسمفن المأساة ويحيل المأساة اغنية حلوة عذبة جميلة .. يضاف الى ذلك انه لا يقف وقفة عابرة امام الاحداث التي تمر بنا .. انه يقف وقفة فاحص مدقق ، عميق ثم يعود الى لاوعيه ليذيب ماجمعه في حوار العابرة ليستخرج منها مادة للفن .. »

أما قصائد الاستاذ أمين شنار ، فكما يبدو ، انها لاقت نفس الصدى الذي لاقته قصائد نذير ... في نفس ناقدنا الكبير اورخان .. بل انه اعتبر قصائد الشاعر شنار اكثر اقترابا منها الى الشعر العالمي .. ففي قصيدته « رحلة في اعماق المدينة » يقول الاستاذ شنار :

الليل حلم مبصر في مقلة عمياء

قلبي شراع مبحر في لجة سوداء ..

قلبي وليلي سائحان يعبران

ازمة مسنة تؤرخ الزمان

تقول كان ههنا .. وكان

وألمح الاشباح تزرع المكان

واسمع التنفس القديم في الاجواء

والمس العطور والبخور في مجامر المساء ..

ومما جاء في قصيدة له ثانية بعنوان « لمن » .. وهي قصة بيت جميل بناه اهله ثم هجروه واضحوا غرباء

« وكنت بعيدة

وكنت اراك بقربي

وفي كل لحن وكل قصيدة

تناديني في ابتهال الرجاء

ولكن .. ولكني لا ألبي ..

وادعوك كل صباح وكل مساء

فلا تسمعين

كلانا استبد به الاسى

وكلبله دربه الخاسر
وعشنا غريبين عن حبنا
وعن بيتنا
كأن لم نكن بنيناه يوما
لمن !!؟
أللبدر يغفو على شرفته
أللورد يذبل في روضته
أللبوم ينعق في وحدته
سماء .. شقيقة دربي
سماء .. شقيقة عمري
أجيبي .. لمن بنيناه .. لمن ..
وانهى الاستاذ شنار قصيدته بالبيتين التاليين :

وماتت فراشة حقل كئيبة
وظل الغريب ينادي الغريبة

ومما جاء في نقد الاستاذ ميسر لقصائد الشاعر شنار ما يلي :

« كان الاستاذ شنار مجددا كما قيل عنه .. الا ان هذا التجديد لم يبق أو لم يقتصر على حدود الشكل .. انما تعدى ذلك الى حدود المضمون .. كان تجديدا في الشكل والمضمون ..

واعتقد ان الاستاذ شنار ينهج ذات النهج الذي نهجه الاستاذ نذير العظمة .. انه يريد ان ينطلق من فردية الانسان الى انسانية الانسان .. وهو بذلك يقترب اكثر واكثر من الشعر العالمي المعاصر » .

مدارات الاقمار الاصطناعية حول الارض

بقلم : يوري مارينين ، المعلق العلمي
لدى وكالة نوفوستي الصحفية .

انقضت خمس سنوات فقط على وضع اول قمر اصطناعي في مداره حول الارض غير ان كلمتي « حضيض » و « ذروة » اللتين لم يكن المرء يسمع بهما فيما مضى الا في الكتب الفلكية الجديدة اصبحتا كلمتين مألوفتين لدى جميع الناس .

والحضيض والذروة هما اهم كمتين مجهولتين (البارامتر) حاسمتين في قياس مدار السبوتنيك وكثيرا ما نسمع بالراديو صوت المذيع الضخم يقول « ان بارامترات مدار السفينةالسبوتنيك قريبةمن البارامترات المقررة » . ولو لم يكن الامر كذلك ؟ ومن جهة اخرى لماذا تحسب هذه البارمترات بهذا المقدار من الدقة ولماذا يجب ان تكون هكذا وليس غيرها ؟

يجب ان تكون مدارات جميع السبوتنيكات فوق طبقات الجو الكثيفة (اي على ارتفاع يزيد عن ١٠٠ ك م) والا احترقت السبوتنيكات بسرعة . ويمكن ان يكون الارتفاع الاقصى للسبوتنيكات عدة مئات الآلاف من الكيلو مترات ولا يحدها الا مدى قوة جاذبية الارض . فاذا « تسلق » السبوتنيك الى اعلى مما ينبغي انفصل عن الارض ولم يعد قمرا تابعا لها بل يصبح تابعا للشمس (اي كوكبا اصطناعيا) ان الاهداف المتوخاة تحتم اختيار « ارتفاع مدار » السبوتنيك ضمن الحدود المشار اليها .

اما ارتفاع السفن السبوتنيكية المقودة فيجب اختياره بصورة لا تجعل السبوتنيك يخترق مناطق الاشعاعات المحيط بالارض ، اي بشكل يتيح مواصلة الاتصال بها وتتبع طيرانها وضمان ارجاعها الى الارض . والمدارات التي تستجيب لجميع هذه المتطلبات هي المدارات التي يتراوح ارتفاعها بين ١٥٠ و ٣٠٠ ك م وهي المدارات التي توضع عليها السبوتنيكات السوفييتية من فئة « فوستوك » والاقمار الاصطناعية الاميركية من فئة « مركوري » . والحال ان تأثير الكبح الجوي يظل كبيرا على هذا الارتفاع ولهذا لا تستطيع السبوتنيكات ان تبقى عليها لمدة طويلة . وعندما يتم صنع سبوتنيكات مقودة لتطير على مدارها لمدة اسابيع او اشهر بل وسنوات « المحطات الفضائية المأهولة » سينبغي عندئذ وضعها على مدارات ابعد بكثير . وعندما يكون صنع هذه السبوتنيكات قد تم يكون التكنيك قد تقدم ولا يعود ابتعاد السبوتنيكات الكبير عائقا دون ملاحقتها والاتصال بها واعادتها الى الارض . وبهذا الصدد نقول ان من المرجح الا تعود المحطات الفضائية الى الارض ، بل يجري تبديل سدنتها فقط على نوبات كما يجري بالنسبة لشغيلة المحطات القطبية الجنوبية .

وتستطيع سبوتنيكات الارصاد الجوية التي تأخذ صورا لطبقات الغيوم ان تطير على ارتفاعات كبيرة . وهكذا يجري العمل بجد على وضع سبوتنيكات الارصاد الجوية الاميركية « تيروس » على مدارات دائرية على ارتفاع ٦٠٠ ك م . ومن المتوقع وضع بعض السبوتنيكات على ارتفاع عدة آلاف الكيلو مترات لكي تحيط كامراتها بقرص الارض ضمن حقل رؤيتها .

أما مدارات سبوتنيكات تقوية البث بالتقاطه وتجديده فيجب ان تكون على بعد كاف والا اصبحت مدة الاتصالات بواسطة هذه السبوتنيكات قصيرة جدا . فالاتصالات بين محطتين ارضيتين بواسطة السبوتنيك ممكنة فقط اذا كان هذا الاخير ضمن حقل رؤية المحطتين المباشرة . فاذا طار السبوتنيك على مدار منخفض بقي في ذلك الوضع لمدة قصيرة من الزمن فقط ولا يمكن العودة الى البث الا عندما يكون

السبوتنيك قد دار حول الارض وعاد من جديد الى ضمن حقل رؤية المحطتين المباشرة • ويسير القمر الاصطناعي الاميركي التجريبي لتقوية البث « تيلستار ـ ١ » على مدار حضيضه ٩٥٣ ك م وذروته ٥٦٣٧ ك م • ويسير القمر الاصطناعي الاميركي لتقوية البث « ريلي ـ ١ » الذي اطلق في ١٤ كانون الاول ١٩٦٢ على مدار حضيضه ١٣٠٠ ك م تقريبا وذروته ٧٣٠٠ ك م • وتدوم الاتصالات بين المحطات الاميركية والاوروبية ١٢ الى ١٥ دقيقة تقريبا مع انقطاع ساعتين تقريبا بين الاتصالين • وهذا مقبول بالنسبة لقمر تجريبي ولكن الهدف النهائي هوالاتصال المستمر • ولذلك تدل الحسابات على أنه ينبغي ٢٥ قمرا اصطناعيا مثل « تيلستار ـ ١ » بحيث تتابع هذه الاقمار بالتسلسل وفي كل لحظة يكون احدها على الاقل ضمن حدود حقل الرؤية المباشرة لاوروبا والولايات المتحدة • وكلما ازداد ارتفاع مدار سبوتنيكات تقوية البث طالت مدة الاتصال بواسطة كل سبوتنيك وقل عدد السبوتنيكات الضرورية لضمان الاتصال المستمر • اذن يمكن الاكتفاء على ارتفاع ما بقمر اصطناعي واحد لاقامة اتصال بين محطتين ارضيتين ؟ نعم هناك ارتفاع يبلغ / ٣٦٠٠٠ / كيلو متر يكون السبوتنيك عندها ثابتا فوق نقطة ما من الكرة الارضية كأنه مصباح مرئي دائما بالنسبة لجميع المحطات الرادية الواقعة على ثلث مساحة الكرة الارضية • فاذا كانت المحطات الرادية التي يراد اقامة الاتصال بينها واقعة على هذا الجزء من سطح الارض الذي « يعلق » فوقه القمر الاصطناعي عند ذلك يكون كل شيء على ما يرام • واذا لم يكن الامر كذلك ؟ عند ذلك يقتضي ثلاثة اقمار اصطناعية ثابتة فقط لاقامة الاتصال بين اية محطتين كانتا بصرف النظر عن موقعهما على سطح الارض • ولكن كيف يمكن لقمر اصطناعي ان يبقى ثابتا اذا كان يسير في المدار ؟ ان قمرا اصطناعيا يقع على ارتفاع /٣٦٠٠٠/ ك م يقوم بدورة واحدة حول الارض في كل ٢٤ ساعة اي انه يقتضي نفس الوقت الذي تقتضيه اية نقطة من سطح الارض لتقوم بدورة حول محور الارض ولهذا لا يتجاوز القمر الاصطناعي هذه النقطة ولا يتأخر عنها • صحيح ان السبوتنيك ينبغي ان يكون آنذاك فوق خط الاستواء • ويسمى المدار الذي يبدو السبوتنيك فيه ثابتا بالنسبة للارض مدار الثبوت •

وتوضع بعض السبوتنيكات على مدارات مستطيلة جدا (مدارات اهليليجية متباعدة المركزين) بحيث يبلغ ارتفاع الحضيض بضع مئات الكيلو مترات وارتفاع الذروة عدة عشرات بل عدة مئات الآلاف من الكيلو مترات • ما هي الحاجة الى مثل هذه المدارات ؟ لتصوير الوجه غير المرئي من القمر مثلا • فلدى الارتفاع الذروة تقريبا جرى تصوير القمر وعندما عادت المحطة الى الحضيض واصبحت على مسافة قريبة نسبيا من الارض عند ذلك نقلت الصورة الى الارض • وستسير السبوتنيكات المقودة على مدارات من هذا النوع لكي تدور حول القمر • وعندما يكون السبوتنيك في ذروة مداره يدرس الملاحون الكونيون القمر وعندما يصبح في الحضيض يشغل جهاز الكبح الذي يضمن خروج السبوتنيك عن المدار ورجوعه الى الارض • كما توضع ايضا على مدارات اهليليجية ايضا بعض السبوتنيكات المخصصة لقياس كثافة الجو او مستوى الاشعاعات الكونية على ارتفاعات مختلفة •

ماذا يحصل اذا خرج السبوتنيك على مدار غير متوقع ؟ اذا خرج السبوتنيك المقود على مدار منخفض جدا حيث كثافة الجو ما تزال كبيرة على مدار يتجاوز حزام الاشعاعات يتهدد الملاحين آنذاك خطر كبير • واذا خرج هذا السبوتنيك على مدار اهليليجي مستطيل اكثر مما ينبغي يصبح انقاذ سدنته معقدا • واذا قرر لسبوتنيك اتصال ان يخرج على مدار ثبوتي (لم تجر حتى الآن محاولة اطلاق سبوتنيكات من هذا النوع) ولكنه لم يخرج كما هو مقرر له اصبح دون فائدة تقريبا •

ثم ان سبوتنيكا مقودا يطلق ليدور حول القمر ولكنه لا يخرج على المدار المقرر يتعرض لعدم الرجوع ابدًا الى الارض • واخيرا فان سبوتنيك الابحاث الذين يطلق على مدار اهليليجي مستطيل ولكنه يخرج على مدار دائري لا يستطيع ان ينجز جميع المهمات المطروحة امامه • وهذا بالضبط ماحدث للسبوتنيكين الاميركيين « رانجر ـ ١ » و « رانجر ـ ٢ » •

البغاء والامراض التناسلية

بقلم : الدكتور احمد فهمي رجب
ترجمة : رباح شيخ الارض

الحاحا منا على توجيه انظار الجماهير ورواد التربية والثقافة في « سورية العربية » خاصة ، وسائر الاقطار العربية ، الى اثر الصحة العامة والمسالك الخلقية التي تترتب عليها في التغير السياسي ؛ وتأكيدا منا على الحقيقة القائلة بأن التغير السياسي هو تغير حضاري ، اي انه حصيلة لضروب التغير في العلاقات الاجتماعية والاوضاع الصحية والبنى الاقتصادية والمسالك الخلقية وانواع النتاج الفكري المختلفة ، على تباين شأن هذه العوامل في التأثير بحسب الظروف الموضعية والتاريخية ـ نذيع في القراء الكرام هذا البحث القيم الذي نشره بالانكليزية في « المجلة الجنائية القومية » (العدد ١ من المجلد ٢) « الدكتور احمد فهمي رجب » استاذ الامراض التناسلية وعميد كلية الطب في « جامعة القاهرة » ٠

ومن الضرورة بمكان ان نذكر في هذا السبيل ان الحكومة ارادت عام ١٩٦١ ان تلغي البغاء الرسمي في اقليمي الجمهورية آنئذ (سورية ومصر) ، على الرغم من الوقائع الرهيبة التي افصحت عنها دراسات الاطباء والبحاثة من اخواننا « المصريين » حول البغاء في المجتمع العربي في « مصر » ، وبخاصة حول مخاطر البغاء السري والرزايا المؤكدة حال الغاء البغاء الرسمي ٠ وهكذا ، أصدر رئيس الجمهورية قرارا بقانون ذا الرقم ١٠ لسنة ١٩٦١ في شأن « مكافحة » البغاء في « الجمهورية العربية المتحدة » ، وقد نشر في العدد ٦٢ من « الجريدة الرسمية » بتاريخ ١٤ آذار ١٩٦١ ، وفي العدد ٦ من مجلة « القانون » لعام ١٩٦١ ٠ ولقد كادت هذه المحاولة ان تشيع البغاء في ارجاء البلاد على نطاق اوسع مما سلف ، لولا ان اضطرت الحكومة الى ايقاف العمل ببعض مواد هذا القرار ، ثم وضعته على الرف ٠ وما زالت الحاجة ميسة للنظر في هذا الموضوع الحيوي بمنظار المصلحة العامة ، ووفق المعطيات العلمية ٠

وفي عقيدتي ، أنه ما دامت البنية الاجتماعية تقوم الآن على الاسس القائمة ، بحيث ان الغاء البغاء الرسمي يؤول الى سريان البغاء السري على نطاق أوسع واخطر في كيان الامة ، فان الضرورة تقضي بتبني وجهة النظر العلمية التي دافع عنها المصلحون والعلماء منذ « شيشرون » ـ على حد علمنا ـ والتي تقرر ان لا بد من ابقاء البغاء تحت اشراف الدولة ما دام البغاء قائما ، لان البغي ـ بتعبير «شيشرون» ـ هي بالوعة المجتمع الراهن ٠ والى ان تتغير اسس البنية الاجتماعية القائمة ، علينا ان نعالج المشكلة على هذا الاساس ، متطلعين في آن معا الى التغير الجذري الذي يحل المشكلة بخلق مجتمع علمي جديد على اسس اكثر انسانية ٠

ومع ان ارقام البيانات المرفقة تقف عند عام ١٩٥٦ ، ففي الوسع تزويد القراء الاكارم بالمعلومات الجديدة عند احرازها ٠ ولسوف نشرع في العدد القادم بنشر ابحاث ضافية حول هذا الجانب الخطير من حياة الانسان مترجمة عن كبار جمهرة العلماء والاطباء الذين بحثوا هذا الموضوع في العالم ، بدءاً بدراسة « الدكتور ا ٠ ويلي » عن « سن الزواج » مترجمة بقلم الآنسة « ليلى خزامى » ٠

واني حريص الآن ، اشد الحرص على تقديم الشكر للاستاذين « علي رستم » و « الدكتور منير شيخ الارض » للجهود التي قدماها لي في بعض المصطلحات الدقيقة ، وخاصة الطبية منها ، مما عرض لي في هذا النص ٠

(المترجم)

كانت الدولة في الماضي تخضع البغاء لضرب من التنظيم تشرف عليه وتهيمن على شؤونه ؛ كما كانت توقع الفحص الطبي ايقاعا مطردا في البحث عن الامراض التي تنجم عن المضاجعة ، وبذلك كانت تلقي القبض على كل بغي (١) يرى انها ذات عدوى ، وتدخلها

---

(١) في اللغة فرق ظاهر بين البغاء والعهارة ٠ فالبغي هي الامة الزانية الفاجرة ، ولقد أنفت «العرب» ان تقول « المرأة » على اطلاق اللفظ ، لان المرأة الشريفة ـ أي السوية (نورمال) ـ اذا باغت أضحت أمة ، ليس بالمعنى الاقتصادي في الدرجة الاولى ، وانما بالمعنيين النفسي والاجتماعي ٠ ولم تضع « العرب » لفظة لمن يتعاطى البغاء من الرجال ، فهما لكنه البغاء على نحو ما نراه في التعريف الحديث الذي سيرد بعد قليل في سياق النص ٠ غير ان ضرورة مسيسة تلوح اليوم في اصطناع هذه اللفظة المفقودة ، في اكثر الرجال ممن يمارسون البغاء كالجانحات من النساء ٠ اما ان يعهر الرجل الى المرأة فهو ان يأتيها للفجور ويعمل المنكر بها او معها سواء كانت عذراء أو ثيبا ، متزوجة أو غير متزوجة ، فهو بذلك عاهر وهي عاهر او عاهرة ، وذلك يتم بالطبع لاغراض غير الحصول على المال ، مما يقيم الفرق بين العهارة والبغاء ٠ واما الزنا فيشمل جميع العلاقات الجنسية غير السوية التي تقع بين الجنسين خارج الزواج ٠

المشافي حتى تتم معالجتها .

ولئن أبطل مؤخرا هذا البغاء الرسمي ، بيد أنه بقي مع ذلك قائما ، وليس ذلك بسائق ان الغاءه مستحيل على نحو ما يلغى القتل او النهب او الاجهاز على الاطفال ، وانما لان ما من محاولة جدية كاملة قد اجريت في ذات يوم لالغاء البغاء . والبغاء الخفي السري اعظم خطرا من البغاء الرسمي الحكومي . ولذلك فقد توقعت جمهرة الاخصائيين في الامراض التناسلية ان ترتفع نسبة هذه الامراض الواقعة في « مصر » ـ عقب ان الغي البغاء الرسمي ـ فيها ارتفاعا عظيما .

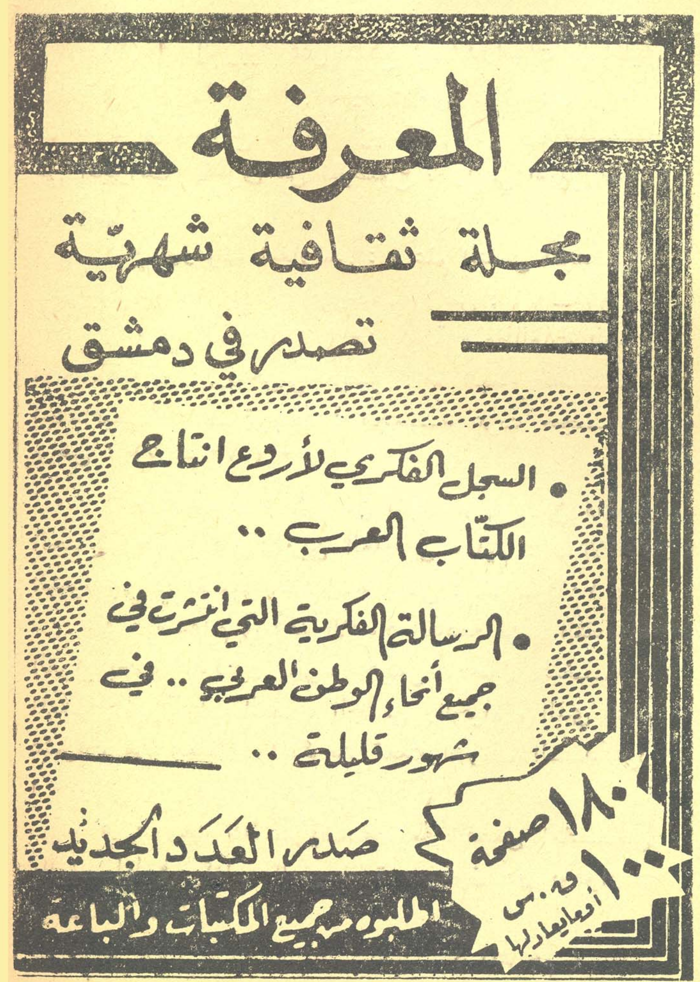
غير ان سيماء المشكلة قد تغير بادخال عقار « البنسلين » في معالجة الامراض التناسلية . فشاع الاعتقاد منذئذ أن الامراض الناجمة عن المضاجعة آخذة في الزوال من « مصر » خلال مضي بضعة أعوام ، وذلك بفضل استعمال « البنسلين » في معالجة الامراض التناسلية . وانخفضت في الواقع نسبة هذه الامراض خلال عامي ١٩٥١ و ١٩٥٢ م . انخفاضا بينا ، بحيث اضحت امراض الزهري الحادة نادرة الوقوع ، كما أضحت التهابات المسالك البولية التي تتسبب عن عامل السيلان متضائلة الحدوث .

ولكن هذا الانخفاض في نسبة وقوع الامراض التناسلية لم يستمر لسوء الحظ طويلا في السنوات التالية . وتشير التقارير الواردة من ارجاء العالم كافة ، وبعد سبعة اعوام من النضال المرير ضد الامراض التناسلية ، الى ان ارتفاعا كليا قد طرأ على نسبة حدوث هذه الامراض فأمراض الزهري الحادة عاودت ظهورها ، كما تزايدت ايضا الالتهابات الحادة في المسالك البولية تزايدا آخذا في الاطراد ، بحيث يلوح ان للبغاء السري دورا شديد الاهمية في اشاعة العدوى . وذلك لان ادراك ما « للبنسلين » من شأن في معالجة الامراض التناسلية ساق البغايا ، ممن كن يمارسن الدعارة سرا ، الى التصدي لمعالجة انفسهن من دون اي اشراف طبي ، ومن ثم اختفت عوارض المرض اختفاء ظاهريا بسبب من هذه المعالجة المبتسرة، وجعل المرض يقيم في انسجتهن كامنا خفيا ؛ وبذلك فقد اقامت البغي من جسدها مبعث خطر شديد ومصدرا مستديما لاذاعة العدوى ، فاذا راحت مثل هذه البغي تنقل العدوى الى رفيق مذكر ، طفقت الجراثيم العضوية ذات العدوى تنشأ لتعمل على مقاومة المعالجة.

وهكذا ، فقد أدت معرفة الطريقة المناسبة لمراعاة احكام القانون الى افتقاد « البنسلين » معظم تأثيره السحري على الامراض التناسلية . كما ان قيام البغايا باستعمال « البنسلين » في اخفاء علائم المرض الظاهرة آل الى تمكينهن من الاستمرار في تعاطي مهنتهن بحيث امتنع على الفحص السريري في معظم الحالات تشخيص ظهور المرض في هذا الضرب من البغايا ، ومن ثم وجب ايقاع الفحوص السريرية الجراثيمية على نحو متكرر لايقاف سريان عدوى الامراض التناسلية .

وكيما يتم التثبت من مراعاة ما سلف من ملاحظات ، قام الجناح التناسلي في كلية الطب بجامعة « القاهرة » ، بالاشتراك مع القسم التناسلي في وزارة الصحة العامة ، باعداد احصائيات (وفي وسع القارىء ان ينظر الى اللوحتين المرفقتين ١ و ٢) توضح بصورة قطعية ان الانخفاض في نسبة وقوع الامراض التناسلية في « مصر » قد توقف توقفا تاما . بل يلوح على النقيض من ذلك ان ثمة اتجاها في هذه النسبة ينحو الى الارتفاع من جديد . وتلكم هي الحالة الراهنة في حدوث الامراض التناسلية في « مصر » .

على ان انقطاع هذا الانخفاض في النسبة ،وتزايد اصابات الامراض التناسلية الذي لوحظ مؤخرا ، ذو مغزى خطير . اذ قد تثور حميا الامراض التي تنجم عن المضاجعة في اية لحظة . ويبدو ان امراض الزهري تهيء لانزال قاصمة الظهر المميتة في الدور الثاني من النضال ، ومن ثم ينبغي علينا ان نقف على أهبة الاستعداد ، منذ الساعة لمكافحة هذا العدو



العنيد ، ومحاولة اجتثاث الامراض التناسلية من الوطن .

في عقيدتي ، ان مشكلة البغاء يجب ان تحوز القدح المعلى في حملتنا على الامراض التناسلية . ولقد كان الكتاب في الماضي على خلاف بين في المحاولات التي قاموا بها لتعريف ما هية مقومات البغي . وبعض القوم منهم اسلك في عداد البغايا جميع النسوة ممن كن يعتبرن مجرمات بمزاولتهن مباشرة جنسية من غير قران . بيد ان البغاء يعرف اليوم بأنه ادمان امرأة على تسليم جسدها الى مختلف الرجال وعلى نحو متعاقب بغية كسب المال . وهكذا ، فقد ركز البحاثة الاجتماعيون جهودهم على دراسة هذه المشكلة بالتفصيل [٢] ، وذلك ادراكا منهم للحقيقة القائلة بأن البغي هي بؤرة كامنة لبث عدوى الامراض التناسلية ، ومن ثم فقد أعدت بحوث لحل هذه المسألة على اسس علمية .

(٢) في العربية فقر مدقع في الدراسات العائلية وخاصة في الدراسات الجنسية . على ان القارىء يسعه ان يعود الى المراجع التالية لزيادة الاطلاع ولا سيما على الجوانب الاخرى من الموضوع ، وانني اشير لذلك بما يلي :

١ . اوزفولد شفارتس : « علم النفس الجنسي » ـ ترجمة شعبان بركات . وخاصة (ص : ٧٩ ـ ٨٧) .

٢ . في العدد (٢) من مجلة « مطالعات العلوم الاجتماعية » : كنجزلي ديفيز : « البغاء كظاهرة اجتماعية » ـ ترجمة : محمد عزت حجازي (ص : ٥١ ـ ٧٠) .

٣ . في العدد (١) من المجلد (٢) من «المجلة الجنائية القومية » : زين العابدين سليم : « الاتجاه البيولوجي في تفسير الدعارة » (ص : ٩٦ ـ ١٠٣) .

٤ . سنقدم في احد الاعداد القادمة من « الثقافة » الغراء بحث الدكتور بطرس هيس « حول البغاء » المنشور في الكتاب القيم « الجنس والحياة » الذي اعده عشرات من العلماء والمفكرين تحت اشراف الدكتور ١ . ويلي . (ص : ٥٨١ ـ ٥٨٧) .

٥ . ومن الطريف مطالعة الفصل الخاص بالبغايا في كتاب السيدة سيمون دو بوفوار : « الجنس الآخر » .

(المترجم)

واني لاعتقد ان نقصان التربية الجنسية [٣] هو أحد العوامل الاساسية في مشكلة البغاء . وان تربية الاطفال في السن الملائمة وبالطريقة المناسبة تربية جنسية تمكن من اجتناب جانب كبير من نوائب البغاء التي تبعث على الرزايا . على ان الجنس كان يطرح على الدوام مشكلة ذات مغزى غير محدود في صدد اعداد الاطفال ودربتهم . اذ لا يتيسر ان يبقى الجنس مجهولا . بيد ان الانسياق الخطير في انكار ما للتربية الجنسية من شأن بعيد الاثر يسوق الى المجازفة بترك هذه التربية تتحول الى اخاديد مغلوطة . وفي بلادنا لا يناقش الناس ـ اذا وضعنا بعضهم موضع الاستثناء النسبي ـ المشكلات الجنسية مع اطفالهم . وبالتالي ، كثيرا ما تبلغ الفتاة سن الانوثة دون ان تحرز اية دراية بالطاقة الجنسية (الليبيدو) ، أو الحمل ، أو الدورة الطمثية ، وما لهذه الامور كلها من شأن بالدافع الجنسي ؛ ومن ثم فان هذه المشكلة تستدعي بمجموعها دراسات مضنية دائبة ، تقوم على اسس علمية ، مستهدفة ايضاح العوامل الاساسية التي يتسبب عنها البغاء .

والمعهد القومي للبحوث الجنائية (٤) يعمل على دراسة مشكلة البغاء هذه من وجهات نظر اجتماعية وحيوية (فيزيكال) وعقلية . وان اشتراك الاخصائيين في علم النفس الجنسي بنشاط هذا المعهد في هذا السبيل لأمر يبعث حقا على توثيق العزيمة وانعاش الهمة .

واني اقترح ضرورة اعتماد اجراءات معينة بغية الاقلال من مخاطر سريان عدوى الامراض التناسلية .

وفي الوسع تصنيف هذه الاجراءات على النحو التالي :

(٣) يشار بمطالعة كتاب سيرل بيبي : «التربية الجنسية » ترجمة : محمد رفعةرمضان ونجيب اسكندر ابراهيم . كما يشار بمطالعة الفصلين (٢٥) و (٢٦) في كتاب الدكتور عبد العزيز القوصي : « اسس الصحة النفسية » . (ص : ٤٧٧ ـ ٥١٧) . (المترجم)

(٤) في القاهرة .